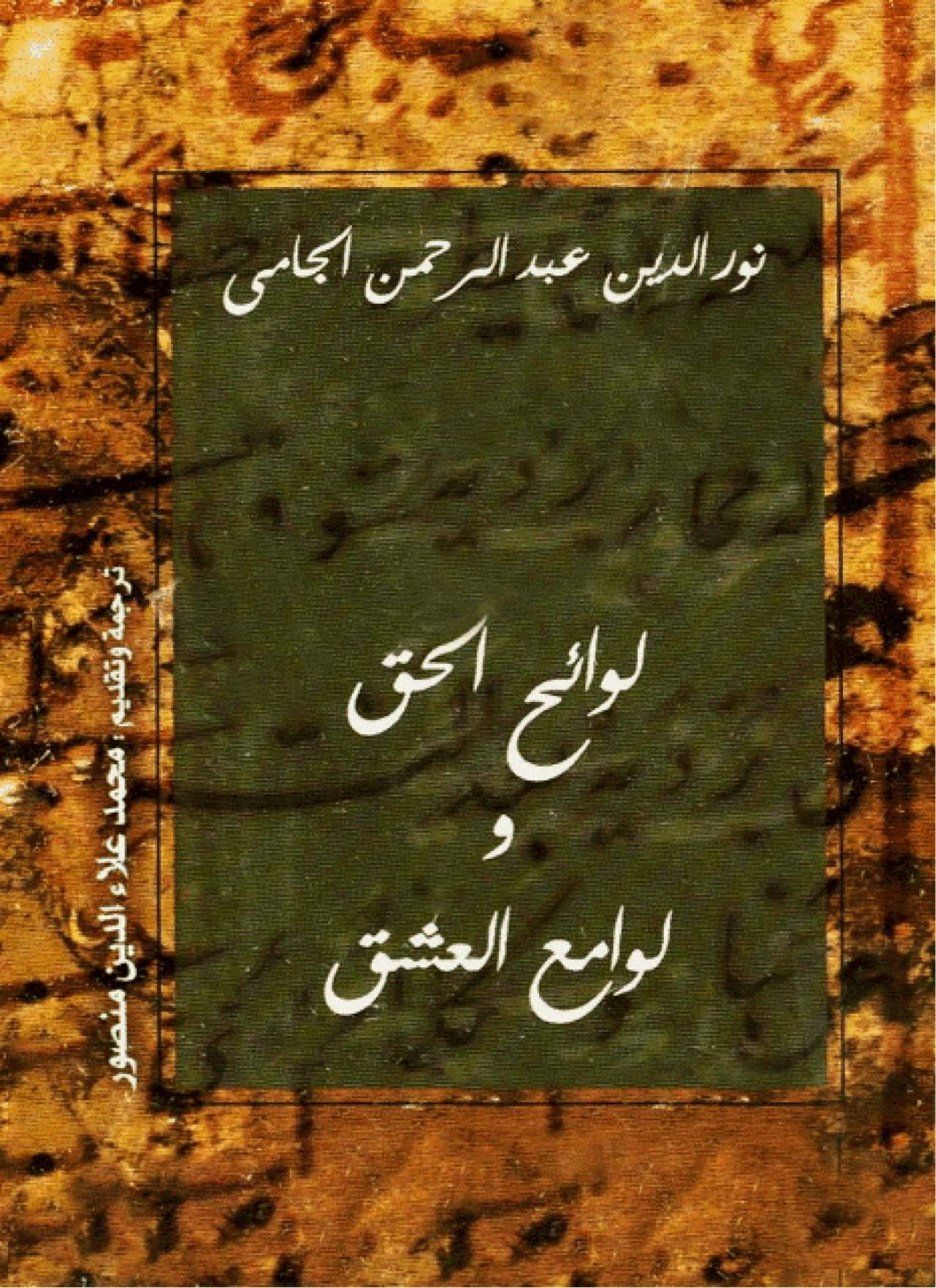

نور الدين عبد الرحمن الجامي
لوائح الحق
و
لوامع العشق
ترجمة وتقديم: محمد علاء الدين منصور

المشروع القومى للترجمة

لوائح الحق ولوامع العشق



تأليف : نور الدين عبد الرحمن الجامى

ترجمة وتقديم : محمد علاء الدين منصور



٢٠٠٣

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٤٢٤
- لوائح الحق ولوامع العشق
- نور الدين عبد الرحمن الجامي
- محمد علاء الدين منصور
- الطبعة الأولى ٢٠٠٣



شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House. El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084



تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلي تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للثقافة .

مقدمة

يطيب لي أن أقدم عملا قيمًا لصوفي إيراني بارز وأديب وشاعر فارسي مبرز عد آخر الشعراء الفرس العظام وهو نور الدين عبد الرحمن الجامي . ولد الجامي في خراسان في ٢٣ شعبان ٨١٧ هـ = ٧ نوفمبر ١٤١٤ م ، وتوفي في هراة في ١٨ محرم ٨٩٨ هـ = نوفمبر ١٤٩٢ ، وكان شاعراً كبيراً ومحققًا دارسًا دقيقًا وعارفًا لجميع تحقيق الحكماء وذوق أرباب الكشف والشهود .

شمل شعره ثلاثة دواوين وغزليات وسبعة مثنويات ومقداراً من قطعات وأبيات متفرقة ، وله مؤلفات سامية الأسلوب في التفسير وإثبات النبوة والحديث وتراجم الصوفية والأولياء والنحو والصرف العربي والعروض والقافية والموسيقى وفن المعمى وسائر الفنون ، وذكر أن عدد تواليفه ستة وأربعون ، وقد لقي في حياته الذيوع في العالم الإسلامي واحترام السلاطين. وأما آثاره الشعرية فهي على ترتيب مراحل حياته (فاتحة الشباب) الذى جمعه عام ٨٨٤ هـ ، و (واسطة العقد) المجموع في ٨٩٤ هـ ، و (خاتمة الحياة) الذى جمعه عام ٨٩٦ هـ ، ومثنوياته السبعة أو العروش السبعة أو نجوم الدب الأكبر السبعة وهى (سلسلة الذهب) المؤلف في ٨٩٠ هـ في موضوعات فلسفية

وصوفية ودينية و (سلامان وأبسال) و (تحفة الأحرار) المنظوم فى ٨٨٦ هـ ، و(سبحة الأبرار) ، و(يوسف وزليخا) المؤلف فى ٨٨٨هـ و (ليلى والمجنون) الموضوع فى ٨٨٩ هـ ، و(خردنامه إسكندرى) أو رسالة العقل الإسكندرى ، وكلها تحوى موضوعات عرفانية ، وذوقية ، وحكمية ، وشرعية ، وتعليمية ، وتربوية ، وكلامية ، وأخلاقية ، وفلسفية، أو علوم عصره، وتتميز غزلياته العشقية العرفانية بالعذوبة والرقة مع العمق والدقة .

أما كتبه النثرية المكتوبة بالنثر الموزون الذى يمازجه النظم فمنها نفحات الأنس فى سيرة الصوفية (٨٨٣ هـ) ، وشواهد النبوة (٨٨٥ هـ) ، وشرح لمعات الشيخ العراقى الصوفى الشهيد (المتوفى ٦٨٨ هـ) المسمى بأشعة اللمعات (٨٨٦ هـ) ، واللوامع فى شرح فصوص الحكم للشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى (المتوفى ٦٣٨ هـ) وقد ألفه عام ٨٩٦ هـ ونقده لنصوص صدر الدين القونيوى تلميذ ابن عربى (المتوفى ٦٧٢ هـ) ، وتفاسيره لبعض سور القرآن ، وشرحه أربعين حديثًا ورسالة فى التوحيد هى رسالة التهليلية ورسالة فى مناسك الحج وشرحه قصائد عمر بن الفارض المصرى أبرز صوفية العشق الإلهى فى المسلمين (والمتوفى ٦٣٢ هـ) ، وشرحه البيت الأول للمثنوى المشهور لجلال الدين الرومى (توفى ٦٧٢ هـ) الذى يشرح حكاية الناى، وشرحه لرباعى للشاعر الفارسى أمير حسور الدهلوى (المتوفى ٧٢٢هـ) وشرحه كافية ابن الحاجب فى النحو وغير ذلك، وأشهر كتبه النثرية (بهارستان) أو (الروض) ويشمل – فى أسلوب موزون يجمع بين النثر والنظم – موضوعات تم إنشاؤها لتعليم النشء البلاغة والفصاحة ، أما الكتاب الذى نقدمه اليوم فهو جماع لثلاثة من تأليفه

النثرية أولها (لوائح الحقيقة) وهى خمسة وثلاثون لائحة فى شرح مقالات الحكماء الصوفية فى الوحدة ومراتب الوجود خاصة ابن عربى والقونيوى وأتباعهما . وإذ لم يبتدع الجامى فكراً زائداً على هذين المفكرين لكنه أحسن استيعاب هذه النظرية على كثرة مقالاتها وعرضه خلاصة لفهمه لها فى أسلوب رشيق عميق جزل . ورصع لوائحه برباعيات موافقة من نظمه ، ولم يكفه هذه اللوائح ؛ فأنشا رباعيات فى نفس الفكر ثم شرحها لإثبات وحدة الوجود وبيان تنزلاتها إلى مراتب الشهود وكيفية إدراكها بالذوق والعرفان . وقد قدم هذين الكتابين على شرح له للقصيدة الميمية الخمرية لابن الفارض ، والذى تأثر به فى غزلياته كذلك ، وسماها باللوامع وهى الكتاب أو القسم الثالث للكتاب الذى نقدمه ليرسم سمات العشق الإلهى ومراتبه بقلم الموحد أو القائل بوحدة الوجود ؛ ولذلك كانت لوامعه تأكيداً وتفصيلاً لما سبقها من لوائح ورباعيات . لم يكن الجامى فى شرحه على شعر ابن الفارض ملتزماً بظاهر قوله ، بل أضاف إليه من عقله ووجدانه مقدمة طويلة بلاغية عن العشق وما يتصل به ، ثم شرح شعره شرحاً مبدئياً ثم أتبعه بتأويلات له تعمق رأى ابن الفارض وتربطه بمذهب الوحدة ، ولعل ابن الفارض لم يدر بخلده هذه التأويلات والإضافات بدليل اعتراف الجامى بقوله : (ويمكن أن يكون مراد الشيخ الناظم بكذا هو) دبر كل شرح ، وقد وشح شرحه بنحو مائة وستين رباعية من نظمه ، وفصل شرحه فى سبع وعشرين لامعة ، ولم يزد شعر ابن الفارض عن واحد وثلاثين بيتًا بحيث يمكن القول إن شرح الجامى بلغ بشعر ابن الفارض نصاباً عاليًا من العمق والشمول والتدقيق والإحاطة وحلاوة الأسلوب وطلاوته ، وخلاصة

رأى ابن عربي في وحدة الوجود ومراتبه أن الله والعالم شيء واحد أو بحد قوله : "سبحان من خلق الأشياء وهو عينها" وقالوا : "ما ثمة غير" أي ليس غير الله ، ونفوا ما سواه . ويشرح الجامي ذلك بقوله : إن الموجود الحق والحقيقة المطلقة بل حقيقة الحقائق هي الذات الإلهية ، وهو حقيقة الأشياء والعالم وهو واحد في حد ذاته لا يجوز عليه العدد ، لكنه باعتبار التجليات المتكثرة والتعينات أو المظاهر والمجالي المتعددة في مراتب الوجود تارة يكون حقيقة الحقائق الجوهرية المتبوعة وتارة الحقائق العرضية التابعة ، إذن فذات واحدة هي التي تظهر متكثرة بواسطة الصفات المتعددة للجواهر والأعراض ، ولكن من حيث الحقيقة هي واحدة وليست في الأصل متعددة ومتكثرة أو كثيرة ، وظهور الحق بعد مرحلة اللا تعين في تعييناته يسمى الخلق أو العالم ؛ فالعالم هو ظاهر الحق والحق هو باطن العالم ، وكان العالم قبل ظهوره هو عين الحق وكان الحق بعد ظهوره هو عين العالم ، إن الحق – سبحانه – من ناحية الذات والحقيقة أخفى من كل شيء ، ولا يمكن لأحد ما أن يدرك ويفهم ويشهد ويعلم كنه ذاته وغيب هويته... ، وفي الجملة كل ما يسمى العقل والفكر والوهم والحواس والقياس ، فذات الله منزهة ومقدمة عنه ؛ لأن كل هذه محدثات ، ولا يستطيع المحدث أن يدرك الله غير المحدث وهذه مرتبة اللا تعيين ، وإذا امتنع إدراكه باعتبار بطونه وتجرده فيمكن إدراكه باعتبار ظهوره في مراتب الإيجاد أو الكلية أو تنزلات ذاته العلية ، والمراتب الكلية أو تنزلات الحق على خمس درجات :

الأولى تسمى مرتبة أو حضرة الغيب والمعاني وهي حضرة الذات بالتجلي أو الظهور أو التعين الأول والثاني وما اشتمل عليه من الشئون

والاعتبارات أولاً ، والحقائق الإلهية والكونية ثانياً . **والثانية** المقابلة للأولى تسمى الشهادة والحس وهي من حضرة عرش الرحمانية حتى العالم الأرضي وما بينهما من صور أجناس العالم وأنواعه وأشخاصه . **والثالثة** التي تتلو مرتبة الغيب تنازلاً تسمى مرتبة الأرواح . **والرابعة** التي تتلو عالم الحس تصاعداً تسمي عالم المثال والخيال المنفصل. **والخامسة** التي تجمع ما سبقها تفصيلاً وهي حقيقة العالم ، وإجمالاً هي الصورة العنصرية الإنسانية أو المرتبة الجامعة لجميع المراتب وهي حقيقة الإنسان الكامل أو " الحقيقة المحمدية " ، وقد بنى الصادقون من الصوفية على عقيدتهم بالوحدة سلوكاً هو روح الإسلام وجوهره على غير ما يشاع عنه ؛ إذ نظروا فى كل شيء صورة الله فنبذوا العنصرية والتفرقة بين الناس على أساس الدين أو الجنس أو اللون ، وعشقوا الناس جميعاً وأحبوهم ؛ لأنهم بذلك يعشقون الذات الإلهية ، بل ترحموا على الحيوان وتشفقوا على الحشرات ؛ فكلها مجلى الحق وعينه ، ووحدوا بين الأديان لأنها وإن اختلفت فى الشكل اتفقت على المضمون ؛ فالمسلم فى مسجده والنصراني فى ديره والمجوسي والهندوسي فى معبده يعرفون الحق ويعبدون المطلق ، ورأوا أن الظواهر والأشكال هى التى خلقت الكره والعدوان والإرهاب ، وإن صدق حبهم لله أحبوا جميع خلقه حتى المسيء منهم وغير المعتقد بالله ، وإن تقوى الله تعني اتقاء دماء خلقه وأعراضهم وأملاكهم ، وكلنا من الله وإليه نرجع كما هو تعليم القرآن ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ أي أتقاكم لأرواح خلقه وأملاكهم ؛ لأن تقوى الله تعني عدم خيانته فى أماناته ، وخلقه هم خير

أماناته ؛ فحبهم هو حب الله . فى السلوك الصوفى الذى يبدأ بالتوبة وذكر الله وينتهي إلى الفناء فيه أو ما يعرف بالمقامات والأحوال الصوفية، تلوح للسالك أولاً لوائح الحقيقة إلي عقله وإدراكه وهى الحقيقة الإلهية أو الوجود المطلق ؛ فإذا توحد بها توجَد وتذوق وانكشفت له لوامع العشق الإلهى ، فإذا زاد توحده وشهوده لله طلعت عليه طوالع الحقيقة المطلقة ففني عن ذاته وبقي بها ، وهذا هو المقصد الأسنى والمطلب الأسمي .

(المترجم)



ربّ وفقنا للتكميل والتتميم

لاأحصى ثناء عليك ، كيف وكل ثناء يعود إليك ، جلّ عن ثنائى جناب قدسك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، ربّ لا نُجرى على ألسنتنا ثناءك ولا نحصى عليك مدحتك ؛ فكل ما فى صحائف الكائنات من جنس الأثنية والمحامد عائد إلى جناب عظمتك وكبريائك ، فما تستطيعه أيدينا وألسنتنا أن تقدم ما يجدر بحمدك ومدحك ؟ أنت مثلما امتدحت نفسك ، وجوهر ثنائك هو ما نظمته بنفسك .

(رباعى)

حيثما كان كمال كبريائك

كان عالم النماء من بحر عطاياك

أى حد لنا فى حمدك وثنائك ؟

إنما الحمد والثناء عليك بما يحرى بك

وبقدر ما بلغ المتفاصح القائل عليه السلام " أنا أفصح " من علم الفصاحة وأقر بعجزه عن أداء ثنائك فليس بمكنة كل كليل لسان فتح مجارى الكلام ، وليس باستطاعة كل مضطرب عقل أداء بلاغه المقال ، بل إن إظهار الاعتراف بالعجز والقصور هنا هو عين القصور، ومشاركة

سـيد الديـن والـدنـيا (عليه السـلام) في مقـالته تلك أمر بعيـد عن حسن الأدب .

اللهم صلِّ على مـحـمـد ناصب لواء الحـمـد وصـاحب المقـام المحمود وعلى آله وأصحابه الفائزين ببذل المجهود لنيل المقصـود وسلم تسليماً كثيراً .

(مناجاة)

إلهى إلهى خلصنا عن الاشـتـغـال بالملاهي ، وأرنا حـقـائق الأشياء كما هي ، أزل عن بصر بصائرنا غشاوة الغفلة ، وأرنا الأشياء على حقيقتها، ولا تظهر لنا العدم بصورة الوجود ، ولا تحجب عنا بالعدم جمال الوجود ، واجعل هذه الصورة الخيالية مرآة لتجليات جمالك لا علة للاحتجاب والابتعاد عنك ، وحول هذه النقوش الوهمية أساسًا لعلمنا وبصرنا بك لا آلة لجهالتنا وعمانا عنك ، حرماننا وهجراننا كله منا فلا تدعنا إلي أنفسنا وتكرم بتخليصنا من أنفسنا وتفضل بتعريفنا إليك.

(رباعـي)

يا رب امنحني قلبًا طاهراً وروحًا عـليمـة

هبني آهـات الليل وبكاء السـحـر

واجـعلنـى أفنى عن ذاتى فى طريـقى أولاً

ثم عـرفنى إلى ذاتى وأنا فـانٍ عنهـا

(رباعي)

يا رب اجعل كل الخلق فظاظًا معي

واجعلني أتنحى جانبًا عن كل العالمين

واصرف وجه قلبي عن كل جهة

وحولني في عشقي إلى جهة واحدة ووجه واحد

(رباعي)

يا رب ماذا يصير لو خلصتني من الحرمان

ماذا يحدث لو دللتني على ربع العرفان

قد هديت كثيراً من المجوس من كرمك إلى الإسلام

فماذا يحدث لو جعلت مجوسيًا آخر مسلمًا

(رباعي)

يا رب أغنني عن الكونين

وأعل رأسي بتاج الفقر

واجعلني محرم الأسرار في طريق طلبك

اصرفني عن طريق لا ينتهي إليك

(تمهيد)

هذه رسالة تُسمَّى باللوائح ، في بيان المعارف والمعاني التي لاحت على ألواح الأسرار والأرواح لأرباب العرفان وأصحاب الذوق والوجدان

بعبارات لائقة وإشارات رائقة ، والمتوقع ألا يُرى وجود المتصدّى لهذا البيان ، وألا يُجلس على بساط الإعراض وسماط الاعتراض ؛ لأنه ليس له فى هذا المقال نصيب غير منصب الترجمان، وليس له حظ غير مسلك البيان.

(رباعى)

أنا لا شىء بل أقل كثيراً من لا شىء

ولا يتأتى فعل من الذى هو لا شىء وأقل من لا شىء

أقول كل سر من أسرار الحقيقة

لأنه ليس لى حظ غير القول والشرح

(رباعى)

فى عالم الفقر زوال الصفة أولى

وفى قصة العشق زوال اللفظ والكلمة أولى

لأن من ليس أهلاً لذوق أسرار الوجود

إنما قوله بطريق الترجمة أولى

(رباعى)

نظمت جواهر عدة مثل المستنيرى العقول

فى ترجمة أحاديث لعلية الفحول

فلعل الرسل يبلغون هذه التحفة منى أنا الحقير إلى شاه همدان

(لائحة) "ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه" ، تعالى عن الكيف حين وهبك نعمة الحياة لم يخلق في داخلك غير قلب واحد حتى تكون في محبته ذا وجه واحد ، وتعرض عن دونه وتقبل عليه ، وليس لكي تمزق قلبك الواحد مائة قطعة وتشرد كل قطعة وراء مقصد ومقصود.

(رباعي)

يا من توجهت إلى قبلة الوفاء

وصار جلدك حجابا على مغزى (لماذا)

لا يحسن بك أن توجه قلبك إلى هذا وذاك

يكفيك قلب واحد وحبيب واحد

(لائحة) التفرقة عبارة عن تفريقك قلبك بواسطة تعلقك بالأمور المتعددة ، والجمع هو أن الانشغال بمشاهدة الواحد عن الجميع ، ظنت جماعة أن الجمع في جمع الأسباب فظلوا حتى الأبد في التفرقة، وأيقنت فرقة أن جمع الأسباب من أسباب التفرقة فنفضوا أيديهم من الجميع.

(رباعي)

يا من بقلبك ألف مشكلة بسبب الجميع

يضطرب قلبك المستريح بسبب الجميع

بما إن تفرقة القلب تحصل من الجميع

فدع قلبك إلى واحد وانفصل عن الجميع

(رباعی)

مـــا دمـت فی تفـــرقـــة ووســـواس

فـأنـت فی مـذهب أهـل الجمع شـر الناس

لا والـلـه مـــــا أنـت نـاس بـل نسنـاس

ولا تـدری من جـــــهلك أنـك نـسنـاس

(رباعی)

یا سالـك الطريق لا تُدْلِ بالكلام فی كل باب

ولا تطلب غيرطريق الوصول إلى رب الأرباب

بما أن علة الـتـفـرقـة هی أسـبـاب الدنيـا

فإن جـمع القلب لا تطلبه من جمع الأسباب

(رباعی)

یا قلبی كيف يكون طلب الكمـال فی المدرسة

وكيف يكون التكميل بالأصول والحكمـة والهندسة

كل فـكر خـلاف ذكـر اللـه وسـوسـة

فـاستح مـن الله فـختـام هـذی الوسـوسـة

(لائحة) الحق – سبحانه وتعالی – بكل مكان حاضر وبكل حال ، ظاهر وباطن ، هو ناظر ، فما أشد الخسران إذا غضضت بصرك عن لقائه ، ونظرت إلى آخر غيره ، وتركت طريق رضانه ، وسلكت طريق غيره .

(رباعی)

أتى بالسحر ذاك حبيب الدامية أكبادهم

وقال يا من بسببك في خاطري هم ثقيل

ألا تستحي من أنك حين أتوجه إليك

تتوجه بنظرك إلى من دوني؟

(رباعی)

نحن جادون في البحث عن طريق العش كل العمر

وطالبون لوصلك بجد وجهد كل العمر

وغمزة عين خيالك أمام نظرنا

أفضل من مشاهدة جمال الحسان كل العمر

(لائحة) ما سوى الحق - عز وعلا - في معرض الزوال والفناء . حقيقته معلوم معدوم وصورته موجود موهوم، بالأمس لم يكن له وجود وظهور ، واليوم له ظهور بلا وجود وواضح ما سوف يتجلى عنه بالغد ، فلماذا تدع زمام الانقياد إلي يد الآمال والأماني ؟ ولماذا تستظهر بهذا الزخرف الفاني ؟ افصل قلبك عن الجميع ، واتصل بالله واستقل عن الخلق ، وارتبط بالحق فهو الذى كان من الأزل ، وسيظل حتى الأبد ، ولا تخدش وجه بقائه شوكة أى حادثة.

(رباعی)

كل صـــورة جـــذابة ظهـــرت لـك

سـوف يختطفـهـا الفلـك من أمـام ناظريك

فاذهب ودع قلبك لمن كـان فى أطوار الوجود دائمًا معك وسوف يظل معك

(رباعی)

فتى من كنت أتجـه إلى قـبلة جـمـاله

ومن كنت أنقش حروف همه على لوح قلبى

ولدى الميل إلى الجـمـال الخـالد

لذا فـأنا متـبرم من الحسن الفـانى

(رباعی)

الموجـود الذى لـن تبـقى ناظرًا إليـه

ستـصـاب منه بسـهم الفناء فى النهـاية

ومـا سـوف تنفـصل عنه بالموت

أولى لـك أن تنفـصل عنه فى الحـيـاة

(رباعی)

أيهـا السـيـد سـواء المال أو البنون

ظهـر لك كم هى مـدة بقـائه

فـــمـا أســـعـــد من تعلق قـلـبـه بمـحـبـــوب

ارتـبط بـه أرواح أهـل الـقـلـوب وقـلـوبهـم

(لائحة) : جميل على الإطلاق حضرة ذى الجلال والإفضال ، كل جمال وكمال ظاهر فى جميع المراتب هو شعاع من جماله وكماله ؛ لأنه شعَّ هناك ولقى أرباب المراتب به سمة الجمال وصفة الكمال ، وكل من تعلم أنه عالم فعلمه من أثر علم العليم ، وحيثما ترى بصيراً فبصره ثمرة بصر البصير ، وبالجملة فكل الصفات صفاته تنَزّلت من أوج الكلية والإطلاق وتجلت في حضيض الجزئية والتقييد حتى تسلك من الجزء إلى الكل وتتجه من التقييد إلى الإطلاق ، وليس أن تحسب الجزء ممتازاً عن الكل وتتخلف بالمقيد عن المطلق.

(رباعـى)

ذهبت للـفـرجـــة على بســتـان ذاك المبــدع

فلمـــا رآنى وسط الـبـســـتـــان قـال بـلطف:

أنا الأصـل وزهور البـــســـتـــان فــرعى

فلماذا تعـجز عن إدراك الأصل بسبب الفرع

(رباعـى)

مـاذا تفـعل من لطف القـد وصـبـاحـة الخـد

ومـاذا تفـعـل أمـام سلسلة الشـعــر المجـعـد

في كـل طرف الجـمـــال المطـلق منيـــر

فـمـاذا تفـعل أيهـا الغـــافل بالحسن المقـيـد

(لائحة) : الإنسان إن كان بسبب الجسمانية في غاية الكثافة ، لكنه بحسب الروحانية في غاية اللطافة ، وإنما يأخذ حكم ما يتجه إليه ويقبل لون ما يتوجه إليه ، ولذا قال الحكماء : إذا تحلت النفس الناطقة بصور مطابقة للحقائق تحققت بأحكامها الصادقة وصارت كأنها الوجود كله ، وصارت عامة الخلائق بواسطة شدة اتصالها بهذه الصورة الجسمانية وكمال اشتغالها بهذا القالب الهيولاني بالشكل الذي لا يمكن أن تفصل نفسها عنهما ولا تستطيع التميز عنهما .

وجاء في المثنوي لمولانا جلال الدين الرومي قدس الله سره :

(مثنوي)

يـا أخـي إنـك أنـت نـفـس فـكـرك

ومـــا بقـي بـعـــده عـظـم ولحـم

فـإن كـــان هـذان وردًا فـفـكرك روض

وإن كـــانا شـــوكًـــا فـأنـت وقــود تَنُّورٍ

إذن فعليك السعي وإخفاء ذاتك عن نظرك ، وأن تقبل على هذه الذات وتشتغل بهذه الحقيقة التي جميع درجات الموجودات مجالي جمالها ومراتب الكائنات مرائي كمالها ، وأن تداوم على هذه الحال حتى تختلط هذه الذات والحقيقة بروحك ويزول وجودك من نظرك ؛ بحيث إذا

توجهت إلى ذاتك فقد توجهت إليها ، وإذا عبرت عن نفسك فقد عبرت عنها ويصبح المقيد مطلقًا ، ويصير (أنا الحق) (هو الحق).

(رباعى)

إذا مَـــرّ بـقلـبك الـكل صــــرت كـــلا

ولو كنت بلبـلا غـيـر مستقر غـدوت بلبـلا

أنت جزء والحق كل ، وإن احترفت التفكير فى الكل أيامًا عدة صرت كلا

(رباعى)

أنت مـقـصـودي من تمازج روحى بجـسـدى

وأنت مـقـصـودى من مـوتى وحـيـاتى

وأنت الذى تـخلد إذا زلت أنا عن الوجـود

وأنت مـقـصـودى حين أقـول (أنا)

(رباعى)

مـاذا يـحـدث لو أن رداء الحـيـاة انـشق

وأنـار جـمـال وجـه المطلـق

والقـلب فى سطـوات نوره مـسـتـهـلك

والروح فى غـلـيـان شـوقـه مـسـتـغـرق

(لائحة) : عليك المداومة على التريض بهذه النسبة الشريفة على نحو ألا تخلو منها في أي وقت من الأوقات وبأي حالة من الحالات سواء في مجيئك وذهابك أو في طعامك ومنامك أو في سماعك ومقالك ، وبالجملة عليك أن تكون حاضر وقتك في جميع سكناتك وحركاتك حتى لا يمضي وقتك باطلاً ، وأن تكون واقفًا على نفسك حتى لا تكون غافلاً .

(رباعي)

إذا لم نسفر عن وجوهنا سنة بعد سنة

فحاشا أن يكون لحبك وهم الزوال

فلي في كل موضع ومع كل إنسان وفي كل حال بقلبي أملك

وبعيني خيالك

(لائحة) : وكما أن امتداد النسبة المذكورة واجب بحسب شمول جميع الأوقات والأزمان فكذلك ازدياد كيفيتها بسبب التعري من ملابسه الأكوان والتبرؤ من ملاحظة صور الإمكان أهم المطالب ، وهو لايتيسر إلا بجهد بليغ وجد تام في نفي الخواطر والأوهام ، وكلما زادت الخواطر انتفاءً زادت الوساوس اختفاء ، ويجب السعي إلى زيادة قوة تلك النسبة حتي تخيم الخواطر المتفرقة خارج ساحة الصدر ويشع ظهور وجود الحق سبحانه على باطنك فيأخذك منك ويخلصك من مزاحمة الأغيار فلا يعود بك الشعور بذاتك ولا يبقى شعورك بعدم شعورك بذاتك ، بل لم يبق إلا الله الواحد الأحد .

(رباعى)

يا رب مَددُ حتى أنجو من ثنائيتى

وأنفصل عن الشر وأنجو من شر ذاتى

اجعلنى فى حياتى فانيا عن ذاتى

حتى أنجو من وجود ذاتى وعدم ذاتى

(رباعى)

من له الفناء مسلك والفقر مشرب

لا يعود به كشف ويقين أو معرفة ودين

وزال من الوجود ولم يبق إلهًا إلا الله

وهذا معنى (الفقر إذا تم هو اللّه)

(لائحة) : الفناء هو ألا يبقى شعور بما سوى الله بسبب استيلاء ظهور وجود الحق على الباطل ، وفناء الفناء هو عدم الشعور بعدم الشعور ولا يخفى أن فناء الفناء مندرج فى الفناء لأن صاحب الفناء إذا شعر بفنائه لا يكون صاحب فناء ؛ لأنه صفة الفناء والموصوف بها من قبيل ما سوى الحق سبحانه إذن الشعور بها ينافي الفناء .

(رباعى)

إذا رمت بقاء ذاتك كنت كمن يطلب القشة بدل الحبة فى محصول وجودك

وما دمت واعيًا ولو بشعرة من وجودك فأنت ضال عن طريق الفناء ولو ادعيت

(لائحة) : يقول الخواجة عبد الله الأنصارى : التوحيد ليس أن تكون غريبًا عن الله وإنما أن تكون منفرداً بالله ، التوحيد هو إفراد القلب أى تخليصه وتجريده عن التعلق عما سوى الله سبحانه سواء من ناحية الطلب والإرادة أو من جهة العلم والمعرفة ؛ أي ينقطع طلبه وإرادته عن كافة المطلوبات والمرادات وترتفع سائر المعلومات والمعقولات عن نظر بصيرته ، وأن يشيح الموحِّد بوجهه عن كل توجه ولا يعود به وعى وشعور إلا بالحق سبحانه .

(رباعى)

التوحيد فى عرف الصوفى يا صاحب السِّيَر

هو تخليص القلب من توجهه إلى الغير

هو رمز نهايات مقامات الطيور

قلته لك إن فهمت منطق الطير[1]

(لائحة) : ما دام الإنسان في شرك الهوى والهوس أسيراً فإن دوام هذه النسبة صعب عليه ، لكن إذا ظهرت آثار جذبات ألطف فيه

(١) منطق الطير: مثنوى رمزى أراد فيه ناظمه فريد الدين العطار – من أوائل الصوفية الفرس – أن يمثل بطيور ثلاثين هي مقامات الطريق وأحواله اجتمعت للقاء ملك الطير (العنقاء) فسافرت إليه ، وبعد مشقة وجدت أنها هى هو .

وتجافت مشغلة المحسوسات والمعقولات عن باطنه غلب عليه الالتذاذ بها علي اللذات الجسمانية والراحات الروحانية، وزالت كلفة المجاهدة وتعلقت بروحه لذة المشاهدة، واستراح خاطره من مزاحمة الأغيار وترنَّم لسان حاله بهذا اللحن :

(رباعى)

يا من أنت بلبل روحى السكرى أنت حسبى

ويا من أنت درجة همى الدانية أنت حسبى

إن لذات الدنيا جميعًا تطأها بقدميها

السعادة التى تحدث فأنت حسبى

(لائحة) : وحين يدرك الطالب الصادق في نفسه مقدمة نسبة الجذبة وهي الالتذاذ بذكر الحق سبحانه ؛ فعليه أن يصرف جميع همته على تربيتها وتقويتها ، ويمنع نفسه من كل شيء ينافيها ، ويعد أنه – مثلاً – لو أنفق عمراً خالداً على تلك النسبة فإنه لم يفعل شيئًا ولم يؤد حقها كما ينبغي.

(رباعى)

عزف العشق على عود قلبى نغمة

فصرت بكليتى منها من القدم إلى الرأس عشقًا

حقا لن أنهض بعهودى بتبعة أداء حق لحظة عشق واحدة

(لائحة) : حقيقة الحق سبحانه ليست غير وجوده ، ووجوده لا يجرى عليه الانحطاط والنقص.

إنه مقدس عن صفة التبدل والتغير ومبرأ عن سمة التعدد والتكثر ، على غير مثال لكل مثال لا يسعه العلم ولا العيان ، ظهرت عنه كل الكميات والكيفيات وهو بلا كم وكيف ، كل الأشياء تدركه لكنه خارج عن إحاطة الإدراك ، حارت عين الرأس في مشاهدة جماله وأسودت عين السرّ بلا ملاحظة كماله.

(رباعى)

يا من لهواه كنت بالروح سمحت

أنت فوق وأنت تحت وأنت لا فوق ولا تحت

ذات الجميع ليست غير الوجود والقائم بالوجود

وذاتك وجود ساذج ووجود بحت

(رباعى)

ما أكثر الأحباء الذين بلا لون وتطلبهم يا قلبى فلا تقنع يا قلبى بأى لون

إن أصل كل الألوان يعود إلى من لا لون له

ومن أحسن صِبْغة من الله يا قلبى

(لائحة) : يطلق لفظ الوجود حيناً بمعنى التحقق والحصول ، وهما معان مصدرية ومفهومات اعتبارية ، وبهذا الاعتبار فهو من قبيل

المعقولات الثانية التى لا يكون أمامها أمر فى خارجها ؛ بل تعرض للماهيات في التعقل ، كما حقق محققو الحكماء والمتكلمين، ويقال لفظ الوجود حيناً آخر ويراد به الحقيقة التي وجودها في ذاتها ، والوجود الباقي للموجودات بها وفى الحقيقة ليس غيرها موجود خارجها ، وباقى الموجودات عارض عليها وقائم بها ، كما يشهد بذلك ذوق كبراء العارفين وعظماء أهل اليقين ، وإطلاق هذا الاسم على حضرة الحق – سبحانه وتعالى – بالمعنى الثانى وليس بالمعنى الأول ٠

(رباعى)

الوجود بقياس عقل أصحاب القيود

لا يظهر إلا عارضًا على الأعيان والحقائق

لكن بمكاشفات أرباب الشهود

الأعيان كلها عارضة ومعروضة الوجود

(لائحة) : الصفات غير الذات من حيث ما تفهمه العقول ، وهى عين الذات من حيث التحقق والحصول ؛ فمثلاً العالم ذات باعتبار صفة العلم والقادر ذات باعتبار القدرة، والمريد باعتبار الإرادة، وليس من شك أن هذه الصفات متغايرة بحسب مفهومها وتغاير أيضاً الذات لكن بحسب التحقق والوجود ، فهى عين الذات بمعنى أنه ليس ثمة وجودات متعددة بل وجود واحد والأسماء والصفات هى نِسَبُهُ واعتباراته ٠

(رباعى)

يا من ذاتك فى كل شأن طاهرة من كل شين

ولا يمكن القول بالكيف فى حقك ولا أنت هذا

من وجهة التعقل كل الصفات مغايرة لذاتك

ومن وجهة التحقيق فكلها عين ذاتك

(لائحة) : الذات من حيث هى ، عارية عن كافة الأسماء والصفات وبريئة من جميع النسب والإضافات ، واتصافه بهذه الأمور باعتبار توجهه إلى عالم الظهور فى التجلى الأول حين تجلى بذاته إلى ذاته على ذاته ، فتحققت نسبة العلم والنور والوجود والشعور ، وصارت نسبة العلم تقتضى العالمية والمعلومية ، واستلزم النور الظاهرية والمظهرية ، واستتبع الوجود والشهود الواجدية والموجودية والشاهدية والمشهودية ، وكذلك الظهور الذى يلزم النور مسبوق بالبطون ، وللبطون تقدم ذاتى وأولوية بالنسبة للظهور ، إذن تعين اسم الأول والآخر والظاهر والباطن ، وكذلك فى التجلى الثانى والثالث إلى ما شاء الله تتضاعف النسب والإضافات ، وكلما زاد تضاعف نسبه وأسمائه زاد ظهوره بل خفاؤه ؛ فسبحان من احتجب بمظاهر نوره وظهر بأسبال ستوره ، خفاؤه باعتبار صرافة ذاته وإطلاقها وظهوره باعتبار المظاهر والتعينات.

(رباعى)

قلت إلى حبيبى الوردى الوجه يا برعم الثغر

لا تخف وجهك كل لحظة كالمتدلل المتكبر

فضحك قائلاً إنني على نقيض حسان العالم

عيان في ستري ومستور بلا ستار

(رباعي)

لا يمكن رؤية وجهك بدون نقاب

ولا يمكن مشاهدة طلعتك بلا حجاب

وما دامت الشمس في كمال إشراقها فلا يمكن النظر إلى جرمها

(رباعي)

حين ترفع الشمس راية النور على الفلك

يحار البصر إذا نظر إلى ضيائها من بعد

وحين يظهر نورها من حجاب السحاب

فالناظر يجتليه من غير قصور

(لائحة): التعين الأول وحدة صرف وقابلية محض تشتمل على جميع القابليات سواء قابلية التجرد من جميع الصفات الاعتبارية أو قابلية الاتصاف بكل الصفات . وباعتبار التجرد من جميع الاعتبارات إلى الغاية التي تكون من قابلية هذا التجرد فله مرتبة الأحدية أيضاً ، ويكون له البطون والأولية والأزلية ، وباعتبار اتصافه بجميع الصفات والاعتبار فله مرتبة الواحدية وله الظهور والآخرية والأبدية ، واعتبارات مرتبة الواحدية بعضها من قبيل اتصاف الذات بها باعتبار مرتبة الجمع

سواء تكون مشروطة بتحقق بعض الحقائق الكونية ووجودها كالخالقية والرازقية وغيرهما أو سواء لا تكون مشروطة كالحياة والعلم والإرادة وغيرها ، وهذه هي الأسماء والصفات الإلهية والربوبية. وصورة معلومية الذات المتلبسة بهذه الأسماء والصفات حقائق إلهية ، وتلبس الوجود الظاهر بها لا يوجب تعدد الوجود ، وبعضها من قبيل اتصاف الذات بها باعتبار المراتب الكونية مثل الفصول والخواص والتعينات التي هي مميزات الأعيان الخارجية إحداها عن الأخرى ، وصور معلومية الذات المتلبسة بهذه الاعتبارات حقائق كونية ، والتلبس الظاهر للوجود بأحكامها وآثارها يوجب تعدد الوجود ، وبعض من هذه الحقائق الكونية عند سريان الوجود فيها بأحدية جمع شئونها وظهور آثارها وأحكامها به له استعداد ظهور جميع الأسماء الإلهية صوب الواجب الذات على اختلاف مراتب الظهور شدة وضعفًا وغالبية ومغلوبية مثل أكمل أفراد البشر من الأنبياء الأولياء ، ولبعضها استعداد ظهور بعض دون بعض على الاختلاف المذكور كسائر الموجودات. وحضرة الذات بأحدية جمع شئونها الإلهية والكونية أزلاً وأبداً سارية في جميع هذه الحقائق وهي تفاصيل مرتبة الواحدية ومتجلية سواء في عالم الأرواح أو في عالم المثال أو في عالم الحس والشهادة وسواء في الدنيا أو في الآخرة ، والمقصود من كل هذا التحقق والظهور هو كمال الأسماء الذي هو كمال الجلاء والاستجلاء ، كمال الجلاء هو ظهوره بحسب هذه الاعتبارات، وكمال الاستجلاء هو شهوده لذاته بحسب نفس هذه الاعتبارات، وهو ظهور وشهود عياني عيني كالظهور والشهود المجمل في المفصل بخلاف

الكمال الذاتى وهو ظهور الذات لنفسها فى نفسها لنفسها بلا اعتبار الغير والغيرية ، وهو ظهور علمي غيبي مثل ظهور المفصل في المجمل.

والغنى المطلق لازم للكمال الذاتي ، ومعنى الغنى المطلق هو أن تظهر الشئون والأحوال والاعتبارات للذات بأحكامها ولوازمها على وجه كلى جملى فى جملة مراتب الحقائق الإلهية والكونية للذات فى بطونها واندراج الكل فى وحدتها مشاهد وثابت بجميع صورها وأحكامها كما ظهرت وتظهر وتثبت وتشاهد فى المراتب ، والذات الإلهية بهذه الحيثية مستغنية عن وجود جميع الموجودات كما قال سبحانه ﴿ إن الله لغنى عن العالمين ﴾

(رباعى)

ذيل غنى العشق طاهر وطاهر عن لوث الحاجة إلى قبضة تراب
وبما أنه هو المتجلى والناظر جميعًا فأى خوف من عدم وجودنا نحن وأنت ؟

(رباعى)

كل شأن وصفه لوجود الحق يتصف بها فى ذاته هى جميعًا معلومة ومحققة .

ومن ذلك له الغنى المطلق عن رؤية المقيدات المحتاجة لذاته

(رباعی)

الواجب الوجود مستغن عن وجود الخير والشر والواحد مستغن عن مراتب العدد.

وحين يرى الباقي الجميع في ذاته يستغني عن رؤيتها خارج ذاته

(لائحة) : حين ترفع تشخصات أفراد النوع المندرجة تحت الأحياء وتعيناتهم يجتمع أفراد كل نوع فيها ، وحين ترفع مميزات تلك الأنواع – وهي الفصول والخواص – تجتمع جميعًا في حقيقة الأحياء ، وحين ترفع مميزات الأحياء وما يندرج معها تحت الجسم النامي تجتمع جميعًا في الجسم النامي ، وحين ترفع مميزات الجسم النامي وما يندرج معه تحت الجسم يجتمع جمعها في الجسم النامي ، وحين ترفع مميزات الجسم النامي وما يندرج معه تحت الجسم يجتمع جمعها في حقيقة الجسم ، وحين ترفع مميزات الجسم وما يندرج معه تحت الجواهر أعني العقول والنفوس يجتمع جمعها في حقيقة الجوهر ، وحين ترفع ما به الامتياز الجوهر والعرض يجتمع الجميع تحت الممكن وحين ترفع ما به الامتياز الممكن والواجب في الموجود المطلق وهو عين حقيقة الوجود والموجود بذاته لا بوجود زائد عن ذاته . والوجوب صفته الظاهرة والإمكان صفته الباطنة أعني الأعيان الثابتة الحاصلة بتجليه على نفسه متلبسًا بشئونه ، وهذه المميزات – سواء الفصول والخواص أو التعينات والتشخيصات – كلها شئون إلهية كانت مندرجة ومندمجة في وحدة الذات أولاً ، وظهرت في مرتبة العلم بصورة الأعيان الثابتة وثانيًا في

مرتبة العين بواسطة تلبُّس أحكامها وآثارها بظاهر الوجود وهو المجلى والمرآة أخذت صورة الأعيان الخارجية لباطن الوجود ؛ إذن فليس فى الخارج إلاحقيقة واحدة تبدو بواسطة تلبسها بالشئون والصفات متكثرة ومتعددة بالنسبة إلى تلك المحبوسة فى ضيق المراتب والمقيدة بأحكامها وآثارها.

(رباعى)

درسنا مجموعة الكون بقانون الدرس وتصفحناها ورقة بعد ورقة

فلم نر ولم نقرأ فيها فى الحق غير ذات الحق وشئون الحق الذاتية

(رباعى)

إلى متى حديث الجسم والأبعاد والجهات

وحتَّامَ الحديث فى المعدن والأحياء والنبات

لا توجد غير ذات فقط محققة وليس ذوات

وما ترى غير كثرة وهمية للشئون والصفات

(لائحة) : ليس المراد باندراج كثرة الشئون فى وحدة الذات اندراج الجزء فى الكل أو اندراج المظروف فى الظرف ؛ وإنما المراد هو اندراج الأوصاف واللوازم فى الموصوف والملزوم كاندراج النصفية والثلثية والربعية والخمسية إلى مالا نهاية فى ذات العدد واحد ، لأن هذه النسب مندرجة فيه وليس لها ظهور أصلاً ما دامت لا تقع بتكرار

الظهور في المراتب الجزئية لاثنين وثلاثة وأربعة وخمسة ؛ ومن هنا نعلم أن إحاطة الحق سبحانه وتعالى بجميع الموجودات كإحاطة الملزوم باللوازم ، وليس كإحاطة الكل بالجزء أو الظرف بالمظروف تعالى الله عما لا يليق بجناب قدسه .

(رباعى)

في ذات الحق اندراج الشأن معروف

الشأن كالصفة والحق هو الموصوف

فتذكر هذه القاعدة لأن الله تعالى ليس جزءً ولا كلاً ولا ظرفًا ولا مظروفًا

(لائحة) : ظهور الشئون والاعتبارات وخفاؤها بسبب تلبسها بظاهر الوجود ولا يوجب عدمها تغير حقيقة الوجود وصفاته الحقيقية وإنما ينبنى على تبدل النسب والإضافات ؛ وهذا لايقتضى التغير في الذات ، فإذا نهض عمرو من يمين زيد وجلس علي يساره تختلف نسبة زيد معه لكن ذاته تظل قائمة مع صفاته الحقيقية كما هي ، وكذلك حقيقة الوجود لا تنقص في المظاهر الحسية ، ونور الشمس مع أنه ينير الطاهر والنجس ، فلا يتسرب أى تغير على بساطة نورها فلا يكتسب رائحة من المسك ولا لونًا من الورد ، ولا يعيبه الشوك ولا يشينه الصوان .

(رباعي)

حين تـزين الـشــــمس الدنيــــا بنـورها

تشع بضـــوئـهـــا عـلى الطـاهر والنجس

فـــــــلا يتلـوث نـورها مـن الـنجس

ولا يـزيـد طـهـــــــــرهـا مـن الـطـاهـر

(لائحـة) : لا يكون المطلق بغير المقيد ، ولا يحدث المقيد بدون المطلق ، لكن المقيد محتاج إلى المطلق والمطلق مستغن عن المقيد ؛ إذن فالاستلزام من الطرفين والاحتياج من طرف واحد كما هو الحال مع حركة اليد وحركة المفتاح الذى باليد ·

(رباعي)

يا من لـلإنسـان حــيـاة فى حــرم قـدسك

ظهـر العـــالم بك وأنت نفسك غـيـر ظاهر

نحن وأنت منفصلون عن بعضنا ولكننا نحتاج إليك وأنت عنا مستغن

وأيضًا المطلق يستلزم المقيد من المقيدات على سبيـل البدلية ، ولا يستلزم مقيداً مخصوصًا ، وبما أن ليس للمطلق بدل فهو ولا غيره قبلة احتياج كافة المقيدات ·

(رباعی)

لا يمكن الحصول على قربك بالأسباب والعلل

ولا يمكن الوصول إليك بلا واسطة فضلك الأزلى

ويمكن أن نجد بديلاً لكل موجود

إلا أنت فأنت بلا بديل وبدل

(رباعی)

يا من ذاتك الرفيعة ليست جوهراً أو عرضاً

ومن فضلك وكرمك ليس معللاً بغرض

أنت عوض عمن لا يكون ويوجد

ولا أحد لست أنت عوضٌا عنه

واستغناء المطلق عن المقيد باعتبار الذات وإلا فإن ظهور أسماء الألوهية وتحقق نسب الربوبية بغير المقيد من المحالات.

(رباعی)

يا من جمالك هو باعث شوقى وطلبى

ومطلوبيتك هى فرع لطلبى

فإذا لم تكن مرآة محبتى لك

لا يظهر جمال محبوبيتك

لا بل إن الحق هو المحب كما هو المحبوب وهو الطالب ، فهو المطلوب والمحبوب فى تمام جمع الأحذية ، وهو الطالب والمحب فى مرتبة التفصيل والكثرة.

(رباعى)

يا من ليس سير إلا لك

ولا يخلو منك مسجد ودير

رأيت جميع الطلاب والمطلوبين

فوجدتهم جميعًا أنهم همو أنت وليس غيرك

(لائحة) : حقيقة كل شىء هى تعين وجوده فى حضرة العلم باعتبار الشأن الذى ذاك الشىء هو مظهره ، أو أن الوجود نفسه يتعين بنفس ذاك الشأن فى تلك الحضرة ، والأشياء الموجودة عبارة عن تعيُّنات الوجود باعتبار الانصباغ الظاهر للوجود بآثار حقائقها وأحكامها أو أن نفس الوجود يتعين بنفس هذه الاعتبارات ، بحيث تظل الحقائق دائمًا مختفية فى باطن الوجود ، وتظهر أحكامها وآثارها فى ظاهر الوجود ، لأن زوال الصور العلمية من باطن الوجود محال وإلا لزم الجهل تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا .

(رباعي)

نحن وجوه الوجود واعتباراته

في الخارج والعلم العارض على ذات الوجود

في أستار ظلمة العدم مستورون

لكن صورتنا ظهرت على مرآة الوجود

إذن فكل شيء متعين بحسب حقيقة الوجود أو الوجود أو تعين العارض للوجود ؛ والتعين هو صفة المتعين ، والصفة باعتبار المفهوم مع أنها غير الموصوف فهو عينه باعتبار الوجود والتغاير بحسب المفهوم والاتحاد بحسب الوجود يوجبان صحة الحمل.

(رباعي)

الجار والجليس ورفيق السفر كلهم أنت

ودلق الشحاذ وأطلس الملك هما أنت

وفي جمع الفرق وخلوة الجمع

كلهم أنت بالله ثم بالله

(لائحة) : مع أن حقيقة الوجود مقولة ومحمولة على جميع الموجودات الذهنية والخارجية لكن لها مراتب متفاوتة بعضها فوق بعض ، ولها أسماء وصفات ونسب واعتبارات خاصة في كل مرتبة

لا توجد في سائر المراتب ؛ مثل : مرتبة الألوهية ، والربوبية ، ومرتبة العبودية ، والخالقية ؛ إذن فإطلاق أسماء مرتبة الألوهية مثلاً مثل (الله) و(الرحمن) وغيرهما على المراتب الكونية هو عين الكفر ومحض الزندقة ، وكذلك إطلاق الأسماء الخاصة بالمراتب الكونية على مرتبة الألوهية هو غاية الضلال ونهاية الخذلان.

(رباعى)

يا من تظن أنك صاحب تحقيق

وفي صفة الصدق واليقين صديق

كل مرتبة في الوجود لها حكم

وإذا لم تحفظ المراتب فأنت زنديق

(لائحة) : الموجود الحقيقى ليس أكثر من واحد وهو عين الوجود الحق والوجود المطلق ، لكن له مراتب كثيرة : (أولها) : مرتبة اللاتعيين وعدم الانحصار والإطلاق من كل قيد واعتبار ، وهو من هذه الحيثية مُنَزَّه عن إضافة النعوت والصفات ، مقدس عن دلالة الألفاظ واللغات ، وليس للنقل فى نعت جلاله لسان العبارة وليس للعقل فى كنه كماله إمكان الإشارة ، أرباب الكشف فى حجاب عن إدراك حقيقته ومثلهم أصحاب العلم في اضطراب بسبب امتناع معرفته وغاية دلالته عدم الاستدلال ونهاية عرفانه الحيرة.

(رباعي)

يا من فيك كل بيان وعيان معدوم

واعتقاد كل يقين وظن معدوم

لا يمكن الاستدلال مطلقًا على ذاتك

حيثما تكون فكل استدلال معدوم

(رباعي)

مع أن روح العارف عليمة

لكن أنّى لها السير في حرم قدسك

إن أيدي كافة أهل الكشف وأرباب الشهود قاصرة عن إدراك ذيل إدراكك

(رباعي)

هذا العشق الذي هو جزء منا لاينفك

حاشا بعقولنا يُدرك

فالأفضل أن يتنفس صبح اليقين من نوره ويخلصنا من ظلام الشك

(المرتبة الثانية) : هي تعينه بتعين جامع لجميع التعينات الفعلية الوجودية الإلهية ، وجميع التعينات الانفعالية الإمكانية الكونية ، وتسمى هذه المرتبة بالتعين الأول ؛ لأنه هو أول تعينات حقيقة الوجود ، وفوقها

مرتبة اللاتعيين ولا غيرها ، (المرتبة الثالثة) : هى أحدية جمع جميع التعينات الفعلية المؤثرة وهى مرتبة الألوهية ، (المرتبة الرابعة) : وهى تفصيل مرتبة الألوهية وهى مرتبة أسمائها وحضراتها واعتبار هاتين المرتبتين من حيث ظاهر الوجود الذى هو وجوب وصفه الخاص ، (المرتبة الخامسة) : أحدية جمع جميع التعينات الانفعالية التى من شأنها التأثر والانفعال وهى المرتبة الكونية الإمكانية ، (المرتبة السادسة): وهى تفصيل المرتبة الكونية أو مرتبة العالم والعروض ، وهاتان المرتبتان باعتبار ظاهر العلم الذى ومن لوازمه الإمكان والذى هو تجليه على ذاته بصور الحقائق وأعيان الممكنات ؛ إذن فى الحقيقة ليس الوجود أكثر من واحد يسرى فى جميع هذه المراتب والحقائق المترتبة فيها ، وهو فى هذه المراتب والحقائق عين هذه المراتب والحقائق ، حيث كانت هذه المراتب والحقائق فيه عينه ، وحيث كان الله ولم يكن معه شيء.

(رباعى)

أتود أن تفهم حال الوجود الظاهر فى كل شيء مع كل شيء ؟

اذهب وانظر إلى الحباب فوق الخمر كيف تكون خمره فيه وكيف يكون هو فيها

(رباعى)

على لوح العدم لوائح نور القدم لائحة وليس أحد فى هذا السر مَحْرَمًا مثل آدم

لا تحسبن الحق مستقلاً عن العالم لأن العالم فى الحق حقٌ

والحق فى العالم ليس غير العالم

(لائحة) : حقيقة الحقائق هى الذات الإلهية لله تعالى شأنه ، وهو حقيقة الأشياء أيضًا وهو واحد فى حد ذاته لا يجوز عليه العدد ، لكنه باعتبار التجليات المتكثرة والتعينات المتعددة فى المراتب تارة يكون حقيقة الحقائق الجوهرية المتبوعة وتارة الحقائق العرضية التابعة ، إذن فذات واحدة هى التى تظهر متكثرة بواسطة الصفات المتعددة للجواهر والأعراض ولكن من حيث الحقيقة هى واحدة وليست فى الأصل متعددة ومتكثرة .

(رباعى)

يا من تسمع لكلام هذا وكلام ذاك

إن ظنك بالثنائية لهو دليل البعد والسخط

إن فى جملة الكائنات بلا سهو وغلط

عينًا واحدة وحسب وذاتا واحدة فقط

عين الواحد هذه من حيث التجرد والإطلاق من التعينات والتقيدات المذكورة هى الله الحق ، ومن حيث التعدد والتكثر الذى يظهر بواسطة تلبسها بالتعينات هى الخلق والعالم ، إذن فالعالم هو ظاهر الحق والحق هو باطن العالم ، كان العالم قبل ظهوره هو عين الحق والحق بعد ظهوره هو عين العالم ؛ إذن فتوجد حقيقة واحدة فى الواقع ، والظهور والبطون

والأولية والآخرية من نسبها واعتباراتها (هو الأول والآخر والظاهر والباطن).

(رباعي)

الحق على شكل الحسان القاطعات الطريق على العشاق

لا بل إن الحق عيان في جميع الآفاق

والعالم الذي وجد بوجه التقييد

الله هو الحق جميعا من جهة الإطلاق

(رباعي)

لما صار الحق عيانًا في تفاصيل الشئون

صار هذا العالم المليء بالربح والخسارة مشهوداً

وإذا رجع العالم والعالمون

أتى الحق باديًا برتبة الإجمال

(لائحة) : يقول الشيخ رضي الله عنه في الفصّ الشعبي إن العالم عبارة عن الأعراض المجتمعة في عين الواحد الذي هو حقيقة الوجود ، والتي تتبدل وتتجدد مع الأنفاس والآنات ، ففي كل آية يتجه عالم إلى العدم ويأتي مثله إلى الوجود ، وأكثر أهل العالم عن هذا المعنى غافلون كما قال سبحانه : (بل هم في لبس من خلق جديد) ولم يطلع على هذا المعنى من أرباب النظر غير الأشاعرة في بعض أجزاء العالم

وهي الأعـراض ؛ حيث قـالوا : (الأعراض لا تبـقي زمـانين) ، وغـير الحسبانية المعروفين بالسوفسطائية في كافة أجزاء العالم سواء الجواهر أو الأعراض ، وأخطأ كل من الفريقين من وجه ؛ أما الأشاعرة فمبعث خطئهم هـو أنهم أثبتوا الجواهر المتعددة وراء حقيقة الوجود وأقاموا الأعـراض المتبدلة المتجددة فيـها ، ولم يعلموا أن العـالم ليس بجميع أجزائه إلا الأعراض المتجددة المتبدلة مع الأنفاس التي تجمعت في عين الواحـد وتزول في كل آن من هذه العين ويتلبس أمـثالها بهـا ، إذن يقع الناظر في الخطأ بواسطة تعاقب الأمثال ويظن أنهـا أمر واحـد مستمر كما يقول الأشاعرة في تعاقب الأمثال على محل العرض من غير خُلوّ آن من شـخص من العرض مماثل للشخص الأول فيظن أنهـا أمـر واحـد مستمر.

(رباعي)

هـو بـحـــــــــر لا ينقـص ولا يـزيـد

والأمـــواج عليـــه ذاهبـــة وآتيـــة

والعالم بما أنه عـبارة عن نفس هذه الأمواج فـلا يكون زمانان

بل آنان مستمران

(رباعي)

العالـم اذا لم تكن عاريا من الاعتبار هو جهر جار بأطوار طارئة

وفي كل أطوار الجهر الجاري سرسارٍ وهو حقيقة الحقائق

وأما خطأ السوفسطائية : فهو أنه مع قولهم بالتبدل فى العالم بأسره لم ينتبهوا إلى وجود حقيقة واحدة تتلبس بالصور وتظهر أعراض العالم والموجودات المتعينة متعددة وليس لها ظهور فى المراتب الكونية بغير هذه الصور والأعراض ، كما أن ليس لها وجود فى الخارج بدونه.

(رباعى)

السوفسطائية الجاهلون بالعقل يقولون إن العالم خيالى فان

أجل إن العالم كله خيال ولكن تبدو دائمًا فيه حقيقة متجلية

وأما أرباب الكشف فيرون أن حضرة الحق سبحانه وتعالى يتجلى فى كل نفس بتجلٍّ مختلف وليس فى تجليه أصلاً تكرار ؛ أى أنه لا يتجلى فى آنين بتعيُّنٍ واحدٍ وشأن واحد بل يظهر فى كل نفس بتعين مختلف ويتجلى فى كل آن بشأن آخر.

(رباعى)

الوجود الذى ليس عيانًا فى شأن فى كل آن ويتجلى فى كل آن فى شأن آخر

وإذا أردت برهانًا على قولى هذا فاقرأ من كلام الحق (كل يوم هو فى شأن)

والسر فى ذلك هو أن لحضرة الحق سبحانه أسماء متقابلة بعضها لطيفة وبعضها قهرية وكلها دائمًا فى عمل ، ولا يجوز عليها تعطيل قط ؛

إذن فحين تصير حقيقة من الحقائق الإمكانية بواسطة حصول الشروط وزوال الموانع مستعدة للوجود فإن رحمة الرحمانية تدركها وتفيض عليها بالوجود ويتعين ظاهر الوجود بواسطة تلبسه بآثار تلك الحقيقة وأحكامها بتعين خاص ويتجلى بحسب ذاك التعين ، وبعد ذلك بسبب قهر الأحدية الحقيقية التي تقتضي اضمحلال التعينات وآثار الكثرة الصورية تنسلخ من ذاك التعين ، وفي نفس ذاك الانسلاخ على مقتضى رحمة الرحمانية تتعين بتعيين آخر خاص يماثل التعين السابق ، تضمحل في آن ثانٍ بقهر الأحدية ويحصل برحمة الرحمانية تعين آخر ، وهكذا إلى ما شاء الله ؛ إذن لا يحدث التجلي في آنين فقط بتعيين واحد ويمضي عالم إلى العدم في كل آنٍ ويظهر آخر مثله في الوجود ، لكن المحجوب بسبب تعاقب الأمثال وتناسب الأحوال يظن أن وجود العالم على حال واحدة وعلى وتيرة واحدة في الأزمنة المتوالية.

(رباعي)

سبحان الله ما أعظمه ربًا ودودًا

مستجمعًا للفضل والكرم والرحمة والجود

في كل لحظة يسوق عالمًا إلى العدم

ويدخل آخر مثله في نفس اللحظة إلى الوجود

(رباعي)

أنواع العطاء مع أن الله يهبها لكنه يهب كل اسم عطاءً مستقلاً

ففي كل آنٍ يهب حقيقة العالم اسم الفناء مرة واسم البقاء مرة أخرى

والدليل على أن العالم هو مجموع الأعراض المجتمعة في عين الواحد وهو حقيقة الوجود : هو أن على الرغم من أن حقائق الموجودات تُحَدُّ لكن لا يظهر في حدودها غير الأعراض : فمثلاً حين يقال إن الإنسان حيوان ناطق والحيوان جسم نامٍ حساس متحرك بالإرادة والجسم هو جوهر قابل للأبعاد الثلاثة ، والجوهر موجود ليس في موضوع والموجودات لها التحقق والحصول ، فكل ما يذكر في هذه الحدود من قبيل الأعراض إلا تلك الذات المبهمة الملحوظة في هذه المفهومات ؛ لأن معنى الناطق أنه ذات لها النطق ومعنى النامي ذات لها النمو ، وهكذا في البواقي وهذه الذات المبهمة هي عين وجود الحق والوجود الحقيقي القائم بذاته والمقوم للأعراض ، وقول أرباب النظر إن أمثال هذه المفهومات ليست فصولاً بل لوازم الفصول يعبر بها عن الفصول بواسطة عدم القدرة على التعبير عن حقائق الفصول بالنحو الذي يميزها عن غيرها بغير هذه اللوازم أو اللوازم الأخفى منها ، هذا القول مقدمة ممنوعة ومقالة غير مسموعة ، وإذا سلمنا جدلاً بهذا فإن كل ما هو ذات بالنظر إلى جوهره سوف يكون عرضًا قياسًا على عين الواحد تلك ؛ لأنه إذا دخل في حقيقة الجوهر خرج عن تلك العين وقام بها ، والدعوى بأن هنا أمراً جوهرياً وراء عين الواحد في غاية السقوط

خاصة حين يشهد كشف أرباب الحقيقة المقتبس من مشكاة النبوة بخلاف تلك الدعوى ويعجز المخالف إذا قام الدليل والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

(رباعى)

لا تطلب تحقيق المعانى من العبارات

ولا تبحث عنه بلا رفع القيود والاعتبارات

إن أردت (الشفاء) من علة الجهل فلا تطلب (قانون) لنجاة من (الإشارات)

(رباعى)

قنعت بالوقوف على (المواقف) فمنعك قصد (المقاصد) عن مقصدك

لا تطلع قط (أنوار الحقيقة) عن (المطالع) ما لم تقم (بكشف الحجب)[1]

(رباعى)

اجهد فى رفع الحجب لا فى جمع الكتب

لأن بجمع الكتب لا يحصل رفع الحجب

(١) فى هذا الرباعى وسابقه ذكر لأهم تواليف الحكمة فى المشرق الإسلامى خاصة مؤلفات ابن سينا

أين كـــان فى طـى الكتـب نشــــوة الحب ؟

اطوهـا جــمــيــعًــا وعــد إلى الـه وتُبْ

(لائحة) : أعظم الحجب وأكثف النقب لجمال الوحدة الحقيقية هى التقـيـدات والتـعـددات التي وقـعت فى ظاهر الوجـود بواسطة تلبـسـهـا بأحكام الأعيان الثابتة وآثارها فى حضرة العلم الذى هو باطن الوجود ، ويبدو للمحجوبين أن الأعيان وجدت فى الخارج بينما لم يدركه علم من الوجود الخارجي ، وكانوا دائماً ولا يزالون يعتقدون بعدمهم الأصلى وما هو موجود ومشهود إنما هو حقيقة الوجود ، لكن باعتبار تلبسها بأحكام الأعيان وآثارها وليس من حيث تجردها منها؛ لأن البطون والخفاء من هذا النحو من لوازمها إذن فى الحقيقة فإن حقيقة الوجود لا تزال على وحدتها الحقيقة ، وكانت أزلاً وسوف تبقي أبداً لكن فى نظر الأغيار بسبب احتجابها بالصورة فإن كثرة الأحكام والآثار تبدو متقيدة ومتعينة وتظهر متعددة ومتكثرة.

(رباعى)

الوجـــــود البــــاقى بـحــــر مــــائج

لايرى أهل العـالم من ذاك البـحر غـيـر موجـه

انظر إلى الموج فـى باطن البـحـر فـيظهـر علـى ظاهر البـحـر ويختفى البحر فى موجه

(رباعى)

انظر إلى السر الإلهى وقد اختفى فى العالم كماء الحياة المختفى فى الظلام

ظهر من البحر سمك كثير حتى اختفى البحر فى كثرة السمك

(لائحة) : كلما يظهر شيء في شيء آخر يكون الظاهر خلاف المظهر أي أن الظاهر شيء والمظهر شيء آخر ، وأيضًا ما يظهر من الظاهر فى المظهر هو شبح وصورة لا ذات وحقيقة إلا الوجود الحق والوجود المطلق الذى حيثما يظهر يكون عين المظاهر وهو بذاته ظاهر فى كافة المظاهر.

(رباعى)

عجبٌ قولهم إن القلب مرآة الاعتقاد

وعجيب أن تظهر فيه وجوه الحسان المفاخرات

إن تظهر وجوه الحسان فى المرآة فلا عجب فيه وإنما العجب أن تكون أنت نفس الحسناء ونفس المرآة

(لائحة) : حقيقة الوجود بجميع الشئون والصفات والنسب والاعتبارات والتى هى حقائق كافة الموجودات تسرى فى حقيقة كل موجود ؛ ولهذا قيل (كل شيء فيه كل شيء) ، ويقول صاحب (كلشن راز) أو (روضة الأسرار) :

إذا شـــقـــقـت قلـب قطـرة واحـــدة

خـــرجت منه مـــائة بحـــر صـــافٍ

(رباعـى)

الوجـــود الذى هـو ذات اللـه العـــزيزة

كل الأشياء فيها وهى أيضًا فى كل الأشياء

وهذا شـــرح قـول العـــارف حين يقـــول

كل الأشـــيـــاء مندرجـــة في كل الأشـــيـــاء

(لائحة) : كل قدرة أو فعل يصدر ظاهراً إنما في الحقيقة يظهر من الحق الظاهر فى تلك المظاهر وليس يظهر من هذه المظاهر.

يقول الشيخ رضي الله عنه في (الحكمة العلية) : (لا فعل للعين بل الفعل لربها فيها فاطمأنت العين أن يضاف إليها فعل) ؛ إذن فنسبة القدرة والفعل إلي العبد بسبب ظهور الحق بصورته وليس بسبب نفسه هو فاقرأ (والله خلقكم وما تعلمون) ، واعلم أن الوجود والقدرة والفعل منك هم من الله تعالي.

(رباعـى)

كـل العـــجـــز والفناء مطلوب منا

والوجـــود وتـوابعـــه مـــسلوب منا

إنه هو الذى ظهر فى صورتنا

فانتسبت قدرته وفعله إلينا

(رباعى)

بما أن ذاتك منفية يا صاحب الفهم

اسكت عن نسبة الأفعال إلى نفسك

واسمع مثلاً طيبًا ولا تغبسْ

ثبّتْ العرش أولا ثم انقش

(رباعى)

إلى متى وصفك لنفسك برغم الحاسد

وإلى متى يبقى ترويج مثل هذا المتاع الكاسد

أنت معدوم وخيال الوجود منك

فاسد وإلى متى هذا الخيال الفاسد

(لائحة) : بما أن الصفات والأحوال والأفعال التى تظهر فى المظاهر هى فى الحقيقة مضافة إلى الحق الظاهر فى تلك المظاهر ؛ إذن فإنه يقع أحيانًا فى بعضها شر ونقص ، فيمكن أن تكون من أجل إعدام أمر آخر لأن الوجود من حيث هو وجود خير محض والشر الذى يتوهم من كل أمر وجودى إنما بسبب إعدام أمر وجودى آخر لا بسبب ذاك الأمر الوجودى من حيث هو أمر وجودى

(رباعی)

كل نعت من قبيل الخير والكمال

هو من نعوت الذات الطاهرة المتعالية

وكل وصف في حساب الشر والوبال

مآله إلى قصور القابليات

وادعى الحكماء ضرورة وجود الخير المحض وأوردوا أمثلة عديدة لتوضيح دعواهم وقالوا : إن البرد – مثلاً – المفسد للثمار وهو شر بالنسبة للثمار ، فإنما شريته ليست بسبب كيفية من كيفياته ؛ لأنه من هذه الجهة كمال من الكمالات وإنما لأجل أنه صار سببًا لعدم وصول الثمار لكمالها اللائق ، وكذلك القتل وهو شر فشريته ليست بسبب قدرة القاتل على القتل أو حدة آلة القتل أو قابلية العضو المقتول للقطع وإنما بسبب زوال الحياة وذاك الزوال أمر عدمي ... إلى غير ذلك من الأمثلة

(رباعی)

حيثما سار الوجود أيها القلب

فأيقن أنه خير محض

وكل شر من العدم والعدم غير الوجود إذن فالشر أيها القلب كل مايقتضيه غير الوجود

(لائحة) : يقول الشيخ صدر الدين القونوى - قدس الله تعالى سره - في كتاب (النصوص) إن العلم تابع للوجود بمعنى أن كل حقيقة من الحقائق لها وجود وهي علم ، وتفاوت العلم بحسب تفاوت الحقائق في قبول الوجود كمالاً ونقصاً ، إذن فما يقبل الوجود على الوجه الأتم والأكمل يقبل العلم على هذا الوجه ، وما يقبل الوجود على الوجه الأنقص يتصف بالعلم على هذا الوجه ، ومنشأ هذا التفاوت غالبية ومغلوبية أحكام الوجوب والإمكان ، وفي كل حقيقة تغلب أحكام الوجوب يكمل فيها الوجود والعلم ، وأى حقيقة تغلب فيها أحكام الإمكان ينقص فيها الوجود والعلم وغالباً أن خصوصية الحكم بتابعية العلم للوجود كما ورد في كلام الشيخ على سبيل التمثيل وإلا فجميع الكمالات التابعة للوجود كالحياة والقدرة والإرادة ، وغيرها - لها نفس الحال ، وقال بعضهم - قدس الله تعالى أسرارهم أيضاً - لا يخلو أى فرد قط من الموجودات من العلم لكن العلم على وجهين : أولهما ما يسمى بحسب العرف علماً ، والآخر ما لا يسمى بحسب العرف علماً ، وكلا القسمين عند أرباب الحقيقة من مقولة العلم لأنهم يشاهدون سريان العلم الذاتي للحق سبحانه في جميع الموجودات ، ومن قبيل القسم الثاني (الماء) مثلاً الذي لا يسمى عالماً بحسب العرف ولكنا نراه يميز بين المرتفع والمنخفض ؛ فيعدل عن المرتفع ويجرى في المنخفض كما ينفذ داخل الجسم المتخلخل ويرطب ظاهر الجسم المتكاثف ويتركه إلى غير ذلك ، إذن فمن خاصية العلم جريانه على مقتضى قابلية القابل وعدم مخالفتها لكن العلم ظهر في هذه المرتبة في صورة الطبيعة وعلى هذا

القياس سراية العلم فى سائر الموجودات بل سراية جميع الكمالات التابعة للوجود فى الموجودات بأسرها .

(رباعى)

الوجود بالصفات الخافية فيه يسرى فى كافة أعيان العالم

وكل وصف للعين القابل لها صار عيانًا على قدر قبول العين له

(لائحة) : وكما أن حقيقة الوجود بسبب صرافتها وإطلاقها سارية فى ذوات جميع الموجودات بحيث تكون عين تلك الذوات فى تلك الذوات ، كما أن تلك الذوات كانت فيها عينها كذلك صفاتها الكاملة تسرى بكليتها وإطلاقها فى جميع صفات الموجودات بنحو أن تكون ضمن صفاتها عين صفاتها ، وكما تكون صفاتها فى عينها صفات كاملة تكون عين تلك الصفات كاملة : فمثلاً صفة العلم فى ضمن علم العالم بالجزئيات هى عين العلم بالجزئيات ، وفى ضمن علم العالم بالكليات هى عين العلم بالكليات ، وفى ضمن العلم الفعلى والانفعالى هى عين العلم الفعلى والانفعالى ، وفى ضمن العلم الذوقى والوجدانى هو عين العلم الذوقى والوجدانى إلى غاية علم الموجودات التى لا تعد - بحسب العرف - عالمة هى عين العلم اللائقة بحالها وعلى هذا القياس سائر الصفات والكمالات.

(رباعى)

يا من ذاتك سارية فى ذوات الأعيان وأوصافك متوارية فى صفاتهم

وصفك كذاتك مطلق لكنه ليس فى ضمن المظاهر خاليًا من التقيد

(لائحة) : حقيقة الوجود هى ذات حضرة الحق سبحانه وتعالى ، وشئونها ونسبها واعتبارها هى صفاته ، وإظهاره لنفسه متلبساً بهذه النسب والاعتبارات هو فعله وتأثيره والتعينات الظاهرة المترتبة على هذا الإظهار هى آثاره.

(رباعى)

ذاك المستور أجلى نفسه بالشئون الذاتية فى المظاهر الدينية والدنيوية

فانظر يا طالب اليقين من هذه النقطة التى ذكرتها ما هى الذات والصفة والفعل والأثر

(لائحة) : كلام الشيخ رضى الله عنه في بعض مواضع من النصوص مشعربأن وجود أعيان الممكنات والكمالات التابعة للوجود مضاف إلى حضرة الحق سبحانه وتعالى ، وفى بعض المواضع الأخرى يشعر بأن ما يضاف إلى حضرة الحق سبحانه هو إفاضته الوجود وحسب ، وتوابع الوجود من مقتضيات الأعيان والتوفيق بين هذين القولين هو أن لحضرة الحق سبحانه تجليين : (أولهما) التجلى الغيبى الذى يسميه الصوفية بالفيض الأقدس وهو ظهور الحق سبحانه أزلاً فى حضرة العلم على نفسه الصور الأعيان والقابليات والاستعدادات لها ، و (الثانى) التجلى الشهادى للوجود الذى يسمى بالفيض المقدس وهو ظهور " وجود الحق سبحانه المنصبغ بأحكام الأعيان وآثارها " ، وهذا التجلى الثانى مترتب على التجلى الأول ومظهر للكمالات التى كانت قد اندرجت بالتجلى الأول فى قابليات الأعيان واستعداداتها .

(رباعي)

جـود منك ارتـسم بمائة نوع من الشـــحـاذين

وأعطى كل منهم جـوداً نصـيبًا مـسـتقـلاً به

كـــان ذاك الجـــود الأول من الأزل وعلـيـــه

تـرتب هـذا الجـــــود الـثـــــاني أبـداً

إذن فإضافة الوجود والكمالات التابعة للوجود إلى الحق سبحانه وتعالى باعتبار مجموع التجليين ، وإضافة الوجود إلى الحق وإضافة توابعه إلى الأعيان باعتبار التجلي الثاني لأنه لايترتب على التجلي الثاني غير إفاضة الوجود على الأعيان وإظهار ما كان قد اندرج فيها بمقتضى التجلى الأول .

(رباعي)

اســتمع إلـى قـول مـشكل وسـر مـغلق

إن كل فـعل وصـفـة لحـقـا بالأعـيـان

أضـيـفـا إلينا جـمـيـعًـا من جـهـة

وأضـيـفـا إلى الحق من جـهـة أخـرى

(تذييل) لما كـان المقصـود من هذه العبـارات والمطلوب من هذه الإشارات التنبيه على الإحاطة الذاتية لحضرة الحق سبحانه وتعالى وسريان نوره في جميع مراتب الوجود حتى لا يذهل السالكون العالمون

والطلاب المتنبهون لشهود أي ذات عن مشاهدة جمال ذات الله ، ولا يغفلوا بظهور أي صفة عن مطالعة كمال صفاته ما ذكرناه في أداء هذا المقصود كافٍ وببيان هذا المطلوب وافٍ فلا جرم أن نقتصر على هذا القدر ونختصر بهذه الرباعيات التالية :

(رباعي)

إلى متى يا جامي تطريز الكلام وتدبيج المقال وسحر البيان وإبداع القول ؟

إن إظهار الحقائق بالكلام ضرب خيال أيها الساذج فإلى متى هذا التلاعب بالخيال؟

(رباعي)

أفضل أن تخفي عيبك في أسمال الفقر وأحسن أن تحدّ فهمك في مسائل العشق

وبما أن وجه المقصود مستور بنقاب الكلام فالأولى بنا الصمت عن الكلام والاستماع

(رباعي)

إلى متى تصرخ كالجرس

اصمت لحظة عن هذا الجرس ذي الهراء

لن تصير كنزاً لدرر الحقائق طالما لم تكن كلك اذاناً كالصدف

(رباعي)

يا من تطبعت على وسواس الكلام

راع دائماً مقتضيات الكلام إن كنت عاقلاً

لا تنبس ببنت شفة عن أسرار الوجود

لأن هذا الدر لا ينتظم بألماس الكلام

(رباعي)

الأفضل أن تخط على كل عيب بخط الإزالة وأن تسدل الحجاب على جمال الغيب

وبما أن تجلي ذاك الجمال لا يخرج عنك فاسحب قدمك تحت ذيلك ورأسك في جيبك

— تم —




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

شرح الرباعيات

حمداً لإله هو بالحمد حقيق

في بحر نواله جميع الذرات غريق

ما وفق إلى حمد فضله رفيق

ولم يسلك طريق شكره أي فريق

تعالى الله وتفرد بعزّة وحدته التي لم يتسرب إليها كثرة ثنوية الصفة والموصوف ، ولم يكن لقوة فكر ورويّة لمحجوب أو مكشوف أدنى حيلة أمام امتناع إدراك هويته ، وحبذا هذا العظيم الحكيم الذى مفهوم كلمة (أوتيت جوامع الكلم) فى بيان كمال جامعيته كلام جامع ، وفحوى الآية الكريمة (وعلمك ما لم تكن تعلم) على رفعة علمه ومعرفته برهان ساطع .

(رباعي)

الملك العربي قبلة أرباب النجاة

مرآة الذات ومجلي الصفات

باتباع سيرته علو الدرجات

لا زال عليه زاكيات الصلوات

وعلى آله وأصحابه طيبات التحيات وصالحات الدعوات وسلم تسليمًا كثيرًا ، أما بعد ، يتبين أنه قبل إنشاء هذه الرسالة المشتهرة وإفشاء هذه الصحيفة المعتبرة كانت رباعيات عدة قد نظمتها في إثبات وحدة الوجود وبيان تنزلاتها إلى مراتب الشهود مع التنبيه على كيفية إدراكها على سبيل الكشف والعرفان والوصول إليها بطريق الذوق والوجدان ، ولقيت صورة الانتظام ، ولكن بما أن ميدان العبارة كان ضيقًا على ترجمان اللغة بسبب رعاية القافية ، وكانت قدم سالك البيان بعلة المحافظة على الوزن عرجاء فلم تكن مخدرات معانيها تظهر جمالها بغير نقاب إجمال ، ولم تكن مستورات حقائقها تبدى وجهها بغير حجاب إشكال فلا جرم أن أرقم وأسطر في ذيل تلك الرباعيات كلمات يسيرة منثورة من كلام كبراء الدين وعرفاء أهل اليقين من أجل تفصيل المجملات وتوضيح المشكلات ، والأمل معقود على مكارم أخلاق المطالعين المنصفين ، وأنا الضعيف بعجزى معترف وبقصورى متصف إذا اطلعوا على مواضع الخلل ومواقع الزلل أن يسعوا في إصلاحها ويعفوا عليها بذيل العفو والإغماض ، ويجتنبوا صورة العذل وسيرة اللوم ، وأن يصرفوا كل ما فيها إلى مصرف لائق ، ويحملوا معانيها بمحمل شائق والله ولي التوفيق ومنه الهداية إلى سواء الطريق.

(فمن تلك الرباعيات)

الواجب وهو واهب الوجود للمحدث والقديم وتصوير هبته الوجود قوله (كن)

أقـول حديثًـا لطيفًـا هو لب الكلام إنه الوجـود ، يسـتـوى أن يكون الوجود أو خالق الوجود

(وأيضًا منها)

كل مـــخلوق عـــاجـــز لا يـصل إلـيك

حـرِيّ به أن يتـخلص من نفـسـه ويرتبط بك

أنت موجود بذاتك في الوجـود الذى ليس إلا ذاتك لكن الوجود موجود بك وأنت باق بذاتك

فى هاتين الرباعيتين إشارة إلى اتحاد وجود الواجب تعالى وتقدس بحقيقته كما هو مذهب الحكماء والصوفية الموحدين ، وشرح ذلك أن الموجودات يمكن تقسيمها بالتقسيم العقلي إلى ثلاث مراتب هى : (الأولى) الموجود الذى يغاير وجوده ذاته ووجوده مستفاد من غيره مثل الممكنات الموجودة ، و (الثانية) الموجود الذى تغاير حقيقته وجوده وتقتضيه على نحو أن يكون انفكاك الوجود عنه محالاً مع أن تصور الانفكاك ممكن بناء على التغاير بين الذات والوجود مثل واجب الوجود على مذهب المتكلمين ، و (الثالثة) الموجود الذى وجوده هو عين ذاته أى الموجود بذاته لا بأمر مغاير لذاته ، ولا شك من أن مثل هذا الموجود هو الواجب ؛ لأنه حين لا يمكن تصور انفكاك شيء من نفسه فكيف يمكن وقوعه بحسب الخارج ؟ وجلي أن أكمل مراتب الوجود المرتبة الثالثة ، والنظرة السليمة تجزم بأن الواجب تعالى وتقدس ينبغي أن يكون على أكمل مراتب الوجود إذن فذاته هي عين وجوده .

(تنبيه) : ومن هنا يعلم أنه إذا أطلق لفظ الوجود على الواجب تعالى فالمراد به الذات الموجودة بنفسها والموجدة لغيرها وليس الكون والحصول والتحقق ، وهى معان مصدرية ومفهومات اعتبارية ليس لها تحقق ووجود إلا فى الذهن تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

(وأيضًا منها)

الوجود الظاهر بذاته مثل النور
ظهرت منه ذرات المكونات
وكل شىء يبعد عن ضيائه
يظل مستوراً فى ظلمة العدم

(وأيضًا منها)

شمس الفلك منيرة بنورها
وجرم القمر من شعاعها ينير
والنور منير بذاته وذو العقل الخبير لو يعليه على الشمس والقمر فلا تنتقده

فى هاتين الرباعيتين إشارة إلى تمثيل مُثِّلَ به لشرح مراتب الموجودات فى الوجود ، وقيل : إن الأشياء النورانية على ثلاث مراتب فى النورانية : (الأولى) التى يستفاد نورها من غيرها مثل جرم القمر فى مقابلة الشمس ينير بشعاعها ، وفى هذه المرتبة ثلاثة أشياء : الأول

جرم القمر ، والثاني الشعاع الذي يسقط عليه ، والثالث الشمس التي تفيد الشعاع ، (والمرتبة الثانية) ما يقتضي نوره ذاته كالشمس بفرض أن ذاتها تستلزم نورها وتقتضيه ، وفي هذه المرتبة شيئان : جرم الشمس ، ونورها ، و (المرتبة الثالثة) ما ينير بذاته ويظهر لا بنور يزيد على ذاته كالنور لأنه لا يخفى على أي عاقل أن نور الشمس ليس مظلماً بل منير وظاهر بذاته لا بنور آخر يقوم بذاته ، وفي هذه المرتبة شيء واحد هو النور الظاهر بذاته إلى أبصار الناس وتظهر الأشياء الأخرى بواسطته بحيث يكون لها قابلية الظهور ، ولا يعلو هذه المرتبة الثالثة مرتبة أخرى في النورانية ، وإذا تصورنا هذه المراتب الثلاث في المحسوسات اتضحت المراتب الثلاث للموجودات التي ذكرناها قبل هذا وتبين أكملية المرتبة الثالثة والله تعالى أعلم.

(وأيضًا منها)

كل شيء خلاف الوجود يحتاج الوجود في وجوده كما يظهر في عين الشهود

ويحتاج بما أنه ليس من الواجـــب وصفه بالوجـــوب إلى الوجود الخاص وهو المقصود

هذا الرباعي إشارة إلى دليل إثبات اتحاد الوجود الواجب بحقيقته، وشرح ذلك أن كل شيء يغاير الوجـــود لا يكـون عين مفهوم الوجـــود ولا فرده كالإنسان – مثلاً – ما دام لم ينضم إليه الوجود فلا يتصف بالوجود في نفس الأمر ، إذن كل شيء يغاير الوجـود في الموجودية

يحتاج فى نفس الأمر إلى غيره وهو الوجود ، وكل ما يحتاج فى الموجودية إلى غيره هو (الممكن) لأن الممكن هو ما يحتاج في وجوده إلى غير ، إذن كل شيء يغاير الوجود لايمكن أن يكون هو (الواجب) ، وقد ثبت بالبراهين العقلية أن الواجب هو الموجود ؛ إذن فلا يمكن أن يكون الواجب غير الوجود

(سؤال) لو قال أحد إن الممكن هو ما يحتاج فى موجوديته إلى غير هو موجده لا موجوده (فالجواب) كل شيء يحتاج إلى غيره في موجوديته يستفيد وجوده من غيره هو الممكن سواء سمي ذاك الغير بالوجود أو بالموجد .

(وأيضًا منها)

الوجود الذى هو حقيقة الحق هو الحق

وليس المضاف والملحق بالحق

وجماعة تقييده بالتعين

وأخرى تطلقه من قيد التعين

القائلون باتحاد الوجود الواجب تعالى بحقيقته فرقتان : (الفرقة الأولى) أرباب الفكر والنظر كالحكماء ؛ ويقولون إنه لا يجب أن يكون واجب الوجود كُليًا أى لا يجدر أن تكون له الكلية والعموم العارض ؛ لأن الوجود الكلي لا يحدث فى الخارج بدون تعيين ؛ إذن فيلزم أن يكون بهذا واجب الوجود مركبًا من هذا الأمر الكلي . والتعين والتركيب للواجب محال كما هو مشهور ، بل يجب أن يكون الواجب فى حد ذاته

متعيناً أى يكون تعينه عين ذاته ، كما أن وجوده عين ذاته ، حتى لايجوز عليه بأى حال التركيب والتعدد وحينئذ تكون موجودية الأشياء عبارة عن أن يكون لها تعلق خاص ونسبة معينة بحضرة الوجود ويسقط من تلك الحضرة عليها شعاع وليس الوجود عارضاً عليها أو حاصلاً فيها ، وعلى هذا التقدير فالموجود مفهوم كلى محمول على أمور متكثرة ، والوجود الجزئى الحقيقى ممتنع الاشتراك بين الكثيرين .

(سؤال) لو قال أحد يتبادر إلى الذهن من لفظ الوجود مفهوم مشترك بين الأشياء الكثيرة إذن فكيف يكون الجزئى حقيقياً ؟ (أجبنا) بأن الكلام هو فى حقيقة الوجود لا فيما يتبادر من لفظ الوجود ؛ إذن فيجب أن تكون حقيقة الوجود الجزئى حقيقية والمفهوم الكلى المتبادر إلى الذهن من لفظ الوجود هو العرضى العام بالنسبة إلى تلك الحقيقة بما أن المفهوم واجب القياس بحقيقته .

(الفرقة الثانية) : هم الصوفية القائلون بوحدة الوجود إذ يقولون إن وراء طور العقل طوراً ينكشف فيه بطريق المكاشفة والمشاهدة أشياء عدة يعجز العقل عن إدراكها كعجز الحواس عن إدراك المعقولات التى هى مدركات العقل ، وتحقق فى هذا الطور أن حقيقة الوجود هى عين واجب الوجود ليست كلية ولا جزئية ولا خاصة ولا عامة بل مطلقة من كل القيود إلى حد أنها مطلقة أيضاً من قيد الإطلاق على ذاك القياس الذى ذكره أرباب العلوم العقلية فى الكلى الطبيعى ، وهى الحقيقة التى تجلت وظهرت فى كافة الأشياء الموصوفة بالوجود بمعنى أن لا شىء

البتة يخلو من هذه الحقيقة ؛ لأنه إذا خلا الشيء تماماً من حقيقة الوجود ما اتصف أصلاً بالوجود .

(وأيضًا منها)

الوجود الذى هو مبرأ من الحدوث والقدم

ليس كليًا ولا جزئيًا ولا كثيراً ولا قليلاً

لأن التعين سواء كان الأخص أو الأعم

مسبوق بلا التعين فأفهم

حقيقة الوجود من حيث الإطلاق لا يشار إليها ولا يحكم عليها بأى حكم ولا تعرف بأى صفة ولا يضاف إليها أى نسبة من النسب مثل : الحدوث والقدم ، والوحدة والكثرة ، والوجوب والوجود ، والمبدأية بتعلق علمها بذاتها أو بغيرها ؛ لأن كل هذا يقتضى التعين والتقيُّد ، وليس من شك من أن التعين والتقيُّد سواء أخص التعينات مطلقًا مثل التعينات الشخصية الجزئية أو أعم كل التعينات وأوسعها مطلقًا كالتعين الأول أو سواءً الأخص والأعم من وجه مثل التعينات المتوسطة بينهما مسبوقة جميعًا بلا التعين ، إذن ليس واحد من هذه التعينات يلزم حضرة الوجود من حيث هو بل لزومها بحسب المراتب والمقامات المشار إليها بقوله (رفيع الدرجات ذو العرش) ، إذن فيصير مطلقًا ومقيداً وكليًا وجزئيًا وعامًا وخاصًا وواحداً وكثيراً بدون حصول تغير وتبدل فى ذاته وحقيقته حينما تُلاَحَظُ باعتبار الإطلاق والفعل والتأثير والوحدة وعلو مرتبة الألوهية فهى حقيقة الله سبحانه وتعالى وله الوجوب الذاتى والقدم

وغيرهما من صفات الكمال، وحينما تَلاحَظُ من ناحية التقيُّد والانفعال والتأثر والكثرة والانسفال وقابليته الوجود من حقيقة الواجب بالفيض والتجلي فهي إذن حقيقة العالم وله الإمكان الذاتي والحدوث وغيرهما من الصفات ، وهذا باعتبار التنزل إلي عالم المعاني وتجليه بالصور العلمية المعبر عنها بالأعيان الثابتة ، وبما أن هاتين الحقيقتين المفترقتين لابد لهما من أصل تكونان فيه واحداً وهو فيهما متعدد لأن الواحد هو أصل العدد والعدد تفصيل الواحد فلا مناص من حقيقة ثالثة تجمع بين الإطلاق والتقييد والفعل والانفعال والتأثير والتأثر وتكون مطلقة من وجه ومقيدة من وجه آخر ، وفعالة باعتبار ومنفعلة باعتبار آخر ، وهذه هي حقيقة الأحدية الجامعة للحقيقتين المذكورتين ولها مرتبة الأولية الكبرى والآخرية العظمى .

(وأيضًا منها)

الواجب الذى عمى العقل عن كنهه
أجلى من الجميع فى نسبه الوجود
ماهيته أخفى من أن تظهر
أنيته أظهر من أن تخفى

إن الحق سبحانه من ناحية الحقيقة والذات أخفي من كل شيء ، ولا يمكن لأحد ما أن يدرك ويفهم ويشهد ويعلم كنه ذاته وغيب هويته كما أخبر هو عن نفسه (ولا يحيطون به علمًا) ، تعالت درجة رفعة إدراكه عن مناولة الحواس ومحاولة القياس وخلت ساحة عزة معرفته من

تردد الأفهام وتعرض الأوهام ، ليس دليل لنهايات العقول في بدايات معرفته غير التحير والتلاشي ، وليس سبيل لبصيرة أصحاب النظر في أشعة أنوار عظمته غير التعامي والتعاشي ، وفي الجملة كل ما يسعه العقل والفهم والوهم والحواس والقياس ؛ فذات الله سبحانه منزهه ومقدسه عنه لأن كل هذه محدثات ولا يستطيع المحدث إدراك غير المحدث ، لكنه من ناحية التحقق والوجود فهو أوضح من كل شيء ، وإنما خفاؤه وصعوبة معرفته - سبحانه - بسبب غاية وضوحه من كثرة ظهوره ولا تطيق القلوب إدراكه . الخفاش لا يرى بالنهار لا لأن الأشياء تظهر أكثر بالليل لكنها هي أكثر ظهوراً بالنهار وعينه ضعيفة. وكل ما في الوجود له صفة واحدة على الدوام في الشهادة على كمال وجوده وعلمه وقدرته وجلاله وعظمته جل ذكره من صانع . لو أمكن غيبه الخالق سبحانه وعدمه لزالت السموات والأرض ، وإذ ذاك عرف بالضرورة وكل من قوى بصره رأى كل شيء يراه صنع الله ، وعليه يرى الله تعالى في كل شيء يراه ، وإذا أردت النظر في شيء ليس منه وليس إليه وبه فلن تستطيع أن تجده فكل شيء قبة وشعاع من جمال حضرته وكل شيء منه وكل شيء إليه وبه ، بل إن كل شيء هو وليس لأى شيء قط وجود إلا هو في الحقيقة ، بل إن جميع الموجودات ذات شعاع من نور وجوده. وقال بعضهم - قدس الله أسرارهم - الحق سبحانه أظهر من كل المخلوقات والموجودات ، وهو مُخْتَفٍ لغاية ظهوره (خفي لشدة ظهوره)، الحق سبحانه أظهر من الشمس فمن طلب البيان بعد العيان فهو في الخسران ، تقول لا أعرف هذا الرجل وبعد الاختلاط به ومشاهدة أفعاله

وأقواله وأخلاقه وفضائله تقول أعرفه حق المعرفة ، والحق سبحانه وجملة المخلوقات أفعاله وأقواله وآثاره متى يكون خافيًا ؟ لماذا لاتقول لنفسك إن الحق سبحانه ذات وكل ما أرى وسوف أراه صنع هذه الذات ، إذن فشاهد على الدوام الله سبحانه بأوضح من كل شيء ، ولا تقل لاأراه لأنك إذا رأيت وفهمت غير ذاك كنت كمن يقول في الروض أرى الأوراق ولا أرى الروض ، ولا يوجب هذا القول ضحكًا .

(نظم)

أفهم هذا وهو أن ترى اللّٰه فى كل لحظة فى كل وجه

انظر فى كل صباح فى الفالق لأن الخلق مظهر الخالق

لا تر غير اللّٰه فى السموات والأرض وكل ما فيها وافهم هذا جيدًا

(وأيضًا منها)

إن الله الذى فتح عليك ألف باب

لم يهدك إلى طريق كمال كنهه

وحذرك من التفكير فى ذاته

حتى لا تعانى المشقة بلا جدوى

(وأيضًا منها)

النور الذى يملأ العالم

يشهده القلب والبصر فى كل حال

وتحصيل شهود ما كان

مشهوداً محال في قاعدة العقل

(وأيضًا منها)

يا من بكى قلبك من الهجر في نَوْحِ

إلى متى ستبكي في نوح مثل نوح ؟

من هو سبب هم الهجران في عين الشهود افتح بصيرتك حتى ترى من هو مشهودك

معرفة الحق سبحانه وإدراكه على قسمين : الأول إدراكه باعتبار كنه ذاته وتجرده من تعيينات الأسماء والصفات وتلبسه بمظاهر الكائنات ، وهذا ممتنع عن غير الحق سبحانه لأنه من هذا الحيث محتجب بحجاب العزة ومختفٍ برداء الكبرياء ، وليس أدنى نسبة بينه وبين ما سواه ؛ إذن فالشروع في طريق معرفته بهذا الوجه إضاعة بضاعة الوقت وطلب لما لا يمكن الظفر بتحصيله إلا بوجه الإجمال وهو أن يعرف المحقق أن وراء ما تعين أمراً ظهر به كل متعين وهو في حد ذاته مبرأ من التعين ؛ ولذلك قال سبحانه (ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد) ، إذن فقد أراد – الحق سبحانه برحمته الكاملة ورأفته الشاملة – راحة عباده فحذرهم من السعي في طلب ما هو ممتنع الحصول . وأتى في الحديث أيضاً (تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذات الله) ، ويقول الشيخ محيي الدين رضي الله عنه(التفكر في ذات الله تعالى محال فلم يبق إلا التفكر في الكون).

(سؤال) إذا قلت بما أن التفكر في ذات الحق محال إذن فلام يتجه النهي ؟ (أجبنا) بأن النهي يتجه إلى الفكر في الذات والتفكير فيها كما ذكر صاحب المثنوي المعنوي:

إن التفكرُ في ذاته ليس في الحقيقة نظراً في ذاته

وإنما هو تفكير فيه وفي الطريق آلاف الحجب بينك وبين الله

وقد أشرنا إلى هذا القسم من المعرفة في الرباعي الأول ، والقسم الثاني هو إدراكه سبحانه باعتبار تعينات نوره وتنوعات ظهوره في مراتب التنزلات ومرائي المكونات ، وهذا الإدراك بدوره على حزبين : الأول الإدراك البسيط وهو عبارة عن إدراك الوجود الحق سبحانه مع الذهول عن هذا الإدراك وعن أن المدرك هو الوجود الحق سبحانه ، والثاني هو الإدراك المركب وهو عبارة عن إدراك الوجود الحق سبحانه مع الشعور بهذا الإدراك وبأن المدرك هو الوجود الحق سبحانه ، وفي ظهور الوجود الحق سبحانه بحسب الادراك البسيط لايوجد خفاء لأن كل ما تدركه هو أولاً الوجود المُدْرِك ولو غفلت عن إدراك هذا الإدراك . ظل خفياً لغاية ظهوره ، كما هو حال إدراك الألوان والأشكال بواسطة إدراك الضياء المحيط بها وهو شرط الرؤية ، ومع هذا يغفل الناظر إدراك الضياء في إدراك الألوان والأشكال وبغيبة الضياء يكون معلوماً أن وراءها أمراً آخر كان مدركاً وهو الضياء كذلك نور الوجود الحق المحيط بالضياء والألوان والأشكال والرائي لها وبجميع الموجودات الذهنية والخارجية ، هو القيوم لها جميعا وأدراك شيء بدون إدراكه

محال ، فمع أنك غفلت عن إدراكه سبحانه ومنشأ هذه الغفلة دوام ظهوره وإدراكه بحيث إذا غاب أيضًا هذا النور مثل الضياء يظهر أن أمراً آخر موجود فى وقت إدراك الموجودات وهو نور الوجود الحق سبحانه كلن مدركًا أيضًا لأن :

(مثنوى)

ظهور جملة الأشياء بضدها لكن ليس الحق للحق ضد ولا ند

وبما أن ليس لذات الحق نقل وتحويل فلا يجرى عليها تغيير وتبديل

ولو كانت الشمس على حال واحدة لكان شعاعها على منوال واحد

وما عرف أحد أن هذا شعاعها وما كان فرق بين اللباب والقشر

والنظر فى هذا الإدراك بسيط لذا قيل :

التفكير فى ذات الحق باطل

واعتبر تحصيل حاصله محالاً محضًا

وأشرنا إلى هذا الإدراك فى الرباعي الثانى ، وأما الإدراك الثانى وهو الإدراك المركب فهو محل الفكر والخفاء والصواب والخطأ وحكم الإيمان والكفر راجع إليه والتفاضل بين أرباب المعرفة بتفاوت مراتبه ويشير إليه قول الصديق الأكبر رضى الله عنه (العجز عن درك الإدراك إدراك)

(مثنوی)

أي نسـبـة للـتراب بالـعـالم الطـاهر

إن الـعـجـز عـن درك الإدراك إدراك

وأشرنا إلى هذا الإدراك الثاني في الرباعي الثالث (اللهم وفقنا لهذا الإدراك واشغلنا بك عمن سواك)

(وأيضًا منها)

لا يصـل الفكر إلى الأسـرار الإلـهـيـة

ولا يصل إلى الذات والصفـات للحق كـمـا هى

والعلم الذى هـو تناهى صـفـتـه الذاتيـة لا يصل إلى الذات البريئة من التناهى

فى هذا الرباعى إشارة إلى وجه امتناع تعلق العلم بكنه ذات الحق سبـحـانه وتعـالى ، وتقرير ذلك أن غيبـة هوية الذات التي هي مطلقـة بالإطـلاق الحـقـيـقـى تقـتـضـى ألا تضبط وتتـمـيـز ، ولا تلج تحت الانحصـار والإحاطة ، وحقيقة العلم هى الإحاطة بالمعلوم وكشفه على سبيل التمييز عما عداه ، إذن فإن تعلقت به حقيقة علمية لزم تخلف مقتضى الذات عنه أو انقلاب أو تبدل حقيقة العلم وكلاهما محال ، إذن فـحـقـيـقـة العـلـم لا يمكنها أن تحيط بذات الحق سبـحـانه من حيث الإطلاق المذكور ونسبة ما يتعين للعارفين من ذات الحق سبحانه وتعالى بما لم يتعين هي نسبة المتناهى إلى غير المتناهى ونسبة المقيد إلى المطلق،

وكما أن إحاطة العلم بذات الحق سبحانه من حيث الإطلاق المذكور متعذرة كذلك تتعذر من حيث عدم تناهي الأمور المندرجة والمندمجة في غيبة هويته ، ولا يمكن تعينها وظهورها دفعة واحدة بل بالتدريج.

(وأيضًا منها)

لا يمكن بالعقل والعلم

إدراك بطون الحق ووحدته

والأفضل أن ترى تفصيل تنوعات ظهوره من مرآة المراتب

إدراك ذات الحق - سبحانه وتعالى - باعتبار البطون والتجرد من مجالات تعيينات الشئون مع أنه ممتنع لكنه باعتبار ظهورها في المراتب ممكن بل واقع ، ويتبع هذا الظهور الأحكام والتفاصيل والأحوال والآثار التي تتعلق معرفتها التفصيلية به ، ويقوم بحث الطلاب والمبتدئين على حصولها ، وينبىء مقالات الواصلين والمنتهين عن الوصول إليها ، وبعض من مراتب الظهور جزئيات وليس لها غاية ونهاية ، وبعضها كليات ، ومن هذه الكليات بعض كالمحَال لظهور سائر الحقائق الكلية والجزئيات ولوازمها بحيث تكون كل حقيقة لعديد من الكليات أو الجزئيات أو المتبوعات أو التوابع متعلقا بأحد تلك المحال ، بحيث لو قدر ظهورها تكون تحت حكم ذلك المحل ويكون ظهورها بحسبها وتسمى المراتب والعوالم والحضرات ، وليس للمراتب من حيث هي مراتب وجود متميز عن وجود الأمور المتعينة المترتبة فيها ، بل إن وجودها هو عين وجود الأمور المتعينة المترتبة مثل مرتبة الحسِّ والشهادة فهي مثلاً مرتبة

كلية تشمل جميع المحسوسات الجزئية المتعينة من الأفلاك والأنجم والعناصر والمواليد ، ووجود تلك المرتبة الكلية بعينها متعينة بوجود نفس هذه الجزئيات وليس واحد من الكلي والجزئيات له وجود مستقل متميز عن غيره فتَدَبّر .

(وأيضًا منها)

حين يتنزل الواجب من حضرة الذات فلتنزلاته خمس درجات

هي الغيب والشهادة بالوسط والروح والمثال والخامس جمعية تلك الحضرات

المراتب الكلية تنحصر في خمس مراتب وتسمى الحضرات (الأولى) : تسمى حضرة أو مرتبة الغيب والمعاني ؛ وهي حضرة الذات بالتجلي والتعين الأول والثاني وما اشتملا عليه من الشئون والاعتبارات أولاً والحقائق الإلهية والكونية ثانياً ، و (الثانية) : المقابلة للأولى تسمى الشهادة والحس ؛ وهي من حضرة عرش الرحمانية حتى العالم الأرضي وما بينهما من صور أجناس العالم وأنواعه وأشخاصه ، و(الثالثة) : التي تتلو مرتبة الغيب تنازلاً تسمى مرتبة الأرواح ، و(الرابعة) : التي تتلو عالم الحس تصاعداً هي التي تسمى عالم المثال والخيال المنفصل ، و (الخامسة) : التي تجمع ما سبقها تفصيلاً هي حقيقة العالم وإجمالاً هي الصورة العنصرية الإنسانية ، وقال بعضهم قدس الله أسرارهم : المراتب الكلية ست ، ولأن المراتب مجالٍ ومظاهر إذن فلا تخلو مما هو ظاهر ، ويظهر فيها على الحق سبحانه وحده وليس على الأشياء الكونية

أو ما يظهر أيضا على الحق وعلى الأشياء الكونية ويسمى القسم بمرتبة الغيب بسبب غياب الأشياء الكونية فيه عن نفسها وعن غيرها . إذن ليس لأى شيء ظهور إلا على الحق سبحانه وتعالى . وهذا القسم ينقسم إلى مرتبتين لأن عدم ظهور شيء على الأشياء الكونية ويسمى القسم الأول بمرتبة الغيب بسبب غياب الأشياء الكونية فيه عن نفسها وعن غيرها . إذن ليس لأى شىْء ظهور إلى على الحق سبحانه وتعالى .

وهذا القسم ينقسم إلي مرتبتين لأن عدم ظهور شيء على الأشياء الكونية يكون إما بسبب انتفاء أعيانها بالكلية علمًا وعينا حيث كان الله ولم يكن معه شيء وتسمي هذه المرتبة بالتعين الأول ، والمرتبة الأولى للغيب ، وإما بسبب انتفاء صفة الظهور على أعيانها مع أنها أى الأشياء متحققة وثابتة ومتميزة في العلم الأزلي وظاهرة على الحق سبحانه وتعالى وليس على نفسها ، وأمثالها كما هو الأمر فى الصور الثابتة فى أذهاننا ، وتسمى هذه المرتبة بالتعين الثانى وعالم المعانى والمرتبة الثانية للغيب . أما القسم الثانى من المراتب التى ما يظهر فيها يظهر على الحق كما يظهر علي الأشياء الكونية فينقسم إلى ثلاث مراتب :

(المرتبة الأولى) : هي مرتبة الأرواح ؛ وهي مرتبة ظهور الحقائق الكونية المحددة البسيطة لنفسها ولمثلها كالأرواح التى تدرك في هذه المرتبة أعيانها وأمثالها .

(المرتبة الثانية) : مرتبة عالم المثال ؛ وهي مرتبة الوجود للأشياء الكونية المركبة اللطيفة التي لا تقبل التجزئة والتبعيض والحرق والالتئام .

(المرتبة الثالثة) : هى عالم الأجسام ، وهى مرتبة وجود الأشياء المركبة الكثيفة التى تقبل التجزئة والتبعيض وسميت هذه المرتبة بمرتبة الحسّ وعالم الشهادة ، إذن فمجموع هذه المراتب خمس ، والمرتبة السادسة هي المرتبة الجامعة لجميع المراتب وهى حقيقة الإنسان الكامل لأنه جامع للجميع بحكم البرزخية التى له والله أعلم بالحقائق .

(وأيضًا منها)

فى المرتبة الأولى لا تنفصل صفات الجبروت عن الذات
والملك عن الملكوت

ولا تظهر أعيان الوجود فى عين الظهور بل فى علم الثبوت

في المرتبة الأولى وهى التعين الأول لا يتميز الملك عن الملكوت وهو مرتبة الأرواح ، ولا الملكوت عن الجبروت وهو مرتبة الصفات ، ولا الجبروت عن اللاهوت وهو مرتبة الذات بل هي وحدة صرف وقابلية محض ، وتندرج هذه المراتب فيها وتندمج من غير امتياز بعضها عن بعض لا علمًا ولا غيبًا ، وخصوصيات هذه الاعتبارات ليس لها تميز لإحداها عن الأخرى باعتبار الاندراج والاندماج في هذه المرتبة ، وإذا كان هذا الامتياز بحسب العلم وحسب تسمى أيضًا بالشؤنات الذاتية والحروف العاليات والحروف العلوية والحروف الأصلية ، وبعد امتيازها بعضها عن الآخر فى المرتبة الثانية بسبب نورانية العلم فهى صور الشئون المذكورة وتسمى بالأعيان الثابتة والماهيات.

(وأيضًا منها)

فـى عــــــــالـم المعنـى لاتـسعـى ..

الأشـيـــاء بذاتهـا أصـــلاً ولا بغـيـــرها

هى من ناحـيـة الوجود جـمـيـعًا مـتحـدة ..

قـد فصلهــا عن بعـضهــا نوانيـة العلم

في المرتبة الثانية أى التعين الثاني - كما تسمي - لا يكون للأشياء الكونية في عالم المعاني أصلاً شعور بذاتها وذوات أمثالها باعتبار التحقق والتميز لجميع المعاني الكلية والجزئية فيها ، بل إن تحققها وثبوتها في هذه المرتبة لا يقتضي إضافة الوجود إليها بحيث تتصف بالموجودية أو يتعدد ويتكثر الوجود بسبب إضافته ونسبته إليها ، ولأنها لا تتصف بالوجود فيلزم بطريق أولى ألا تتصف بالكمالات التابعة للوجود مثل شعورها بذاتها وأمثالها إذن فهي لا تتعدد وتتميز في هذه المرتبة بالتعدد والتميز الوجودي ، بل إن تعددها وتميزها باعتبار العلم وحسب بخلاف المرتبة الأولى ؛ حيث لا يلحظ أيضًا هذا التميز والتعدد العلمي ومثال هذا بعينه مثال الحبة التي هي أصل الشجرة لو فرضنا أنها عالمة إذن فتعيُّن الحبة وتجليها على نفسها بلا تفاصيل الخصوصيات للجذر والساق والفروع والأوراق والأزهار والثمار المندرجة والمندمجة فيها يكون ملحوظًا لها بمثابة التعين الأول الذي لا يكون للأشياء فيه تعدد وجودي ولا تميز علمي ، وتعيُّن وتجلي الحبة على نفسها بصور تفاصيل هذه الخصوصيات التي تتجلى على ذاتها

بصورة الجذر والساق والفروع والأوراق والأزهار والثمار ، وتشاهد هذا المفصل في المجمل بمنزلة التعين الثاني الذي يكون فيه للأشياء تميز علمي ، مع أنها ليس لها تعدد وجودي ، وهذه الخصوصيات المذكورة باعتبار الاندراج والاندماج في المرتبة الأولى بلا تعدد وجودي وتميز علمي هو مجلى الشئونات الذاتية ، وصور معلوميتها في المرتبة الثانية هي مثال حقائق الموجودات المسماة بالأعيان الثابتة في عرف الصوفية والماهيات لدى الحكماء كما مر .

(وأيضًا منها)

لا تنزل الأعـيـان إلى حـضـيض العين

حـاشـا أن تكون مـجـعـولـة بجـعل الجـاعل

وبما أن الجـعـل هو إفـاضـة نـور الوجـود

لا يـمـكـن أن يـوصـف بـالعـدم

يتفق الصوفية الموحدون مع الحكماء المحققين في نفي المجعولية عن الأعيان الثابتة والماهيات ، وكلام الشيخ المحقق المدقق صدر الحق والدين القونوي وأتباعه - قدس الله أرواحهم - الناظر إلى أن نفي المجعولية عن الأعيان الثابتة إنما يبتني على أن الجعل يعنون به تأثير المؤثر في الماهيات باعتبار إفاضة الوجود العيني الخارجي عليها ، وما من شك في أن الأعيان من حيث هي صور علمية ينتفي عنها الوجود الخارجي ؛ إذن فيلزم انتفاء المجعولية عنها أيضًا ، ولبعض المحققين أرباب النظر تحقيق في هذه النقطة ومفاده : أن الماهيات الممكنة كما

أنها تحتاج إلى فاعل في الوجود الخارجي تحتاج أيضًا إلى فاعل في وجودها العلمي سواء كان هذا الفاعل مختارًا أو موجبًا ، إذن فالمجعولية بمعني الاحتياج إلى الفاعل من لوازم الماهيات الممكنة مطلقًا سواء في وجودها العيني أو الخارجي أو في وجودها العلمي ، وإذا فسرت المجعولية بالاحتياج إلى الفاعل في الوجود الخارجي فالقول بنفي المجعولية عن الأعيان الثابتة صحيح ، لكن لا يخفي أن هذا التخصيص والتقييد تكلف وراجع إلى الاصطلاح ، إذن فالصواب في هذا المقام هو إن يقال إن المراد بنفي المجعولية عن الماهيات هو عدم احتياجها في حد أنفسها إلى جعل الجاعل وتأثير المؤثر ؛ لأن ماهية السواد - مثلاً - حين لايلاحظ معها مفهوم آخر وراء مفهوم السواد فإن العقل لا يجوز فيه معنى الجعل والتأثير بسبب أن ليس من مغايرة بين ماهيته ونفسه حتى يجعله الفاعل بالجعل والتأثير هو نفسه ، كما لا يتصور جعل الفاعل وتأثيره في صفة الوجود ، بمعنى أن يجعل الوجود وجوداً وإنما يتعلق جعله وتأثيره بالماهية باعتبار الوجود ؛ بمعنى أن يجعل الماهية متصفة بالوجود كشأن تأثير الصباغ - مثلاً - في الثوب المصبوغ : فليس لأنه جعل الثوث ثوبًا أو الصبغ صبغًا وإنما لأنه جعل الثوب يتصف بالصبغ ؛ إذن فعلى هذا التقدير فكل من نفي مجعولية الماهيات في حد أنفسها وإثبات مجعوليتها باعتبار اتصافها بالوجود هو صحيح كما لا يخفى على الفطن الذكي والله هو الولي.

(وأيضًا منها)

الأعـــيـــان وهى مسخــــدرات ســر العــدم

هن مـــســـتورات الحــرم فى ملك البـقـــاء

كـلـهـن مـظـاهـر نـور الـوجــــــــــود

مع أنهـن مــقـيـمـات بـظلمـات العـدم

هذا الرباعى إشـارة إلى المعنى الذى ذكره صـاحب الفصـوص – رضى الله عنه فى الفصّ الإدريسى بقوله : (الأعيان الثابتة ما شمت رائحة الوجود) يعني الأعيـان الثـابتـة وهـى الصـور العلمـية هـى على عدمها الأصلى ، ولم يصل مشامها رائحة من الوجود الخارجي ، ومعنى هذا الكلام هو أن الأعيان الثابتة ثابتة ومستقرة على بطونها عند إفاضة الوجود عليها ولن تظهر بأى وجه لأن البطون والخفاء ذاتى فيها ، وذاتية الشىء لا تنفك عن هذا الشىء ؛ إذن فـمـا يظهـر من هذه الأعـيـان هو أحكامها وآثارها التى تظهر فى الوجود أو فى وجود الحق وليست ذات هذه الأعيان.

(وأيضًا منها)

الأعـيان كلهن مـرآة والحق هو المتجلى فـيـهـا

أو أن نور الحق هو المرآة والأعيـان هى الصور

وفى نظر المحـــقق الحـسديـد البـــصـــر

كل واحـد من هذين الاثنين هو مـرآة للآخـر

للأعيان وهي حقائق الموجودات اعتباران : الأول : هو أن الأعيان مرايا وجود الحق وأسماؤه وصفاته ، والثاني : هو أن وجود الحق مرآة هذه الأعيان ، إذن فبالاعتبار الأول لا يظهر في خارجها إلا الوجود المتعين في مرايا الأعيان والمتعدد بتعدد أحكامها وآثارها ، وبمقتضى هذا الاعتبار فلا يشهد شيء قط في الخارج غير وجود الحق ، وهذا بيان حال الموحّد الذي يغلب عليه شهود الحق ، وبالاعتبار الثاني لا يشهد شيء قط في الوجود غير الأعيان ويغيب وجود الحق وهو مرآة الأعيان ، ولا يتجلى ويظهر إلا وراء حجب الغيب ، وهذا بيان حال من يغلب عليه شهود الخلق ، لكن المحقق يشاهد دائمًا هاتين المرآتين أعني مرآة الحق ومرآة الأعيان ، ومشاهدة الصور التي في هاتين المرآتين بلا انفكاك وامتياز .

(وأيضًا منها)

أنت ذو العين إذا شهد نور الحق

وأنت ذو العقل لو فقد شهود الحق

وأنت ذو العين وذو العقل لو تحقق لك معًا شهود الحق والخلق

هذا الرباعي إشارة إلى الألقاب الخاصة بأرباب المراتب الثلاث التي سبقت في شرح الرباعي السابق ، إذن فذو العين في اصطلاح هذه الطائفة عبارة عمن يغلب عليه شهود الحق فيرى الحق سبحانه ظاهراً ويرى الخلق باطنًا ، إذن فالخلق في نظره بمثابة المرآة للحق بسبب ظهور الحق في الخلق كظهور الصورة في المرآة، واختفاء الخلق

في الحق كاختفاء المرآة في الصورة ، وذو العقل هو من يغلب عليه شهود الخلق فيرى الخلق ظاهراً والحق باطنًا ، إذن الحق في نظره بمنزلة المرآة للخلق والخلق بمنزلة الصورة المنطبعة في المرآة فلا جرم أن يكون الحق باطنًا كما هو شأن المرآة للخلق والخلق ظاهر كما هو شأن الصورة المرتسمة في المرآة ، وذو العين والعقل هو من يشاهد الحق في الخلق والخلق في الحق ، ولا ينحجب بشهود أحدهما عن شهود الآخر بل يرى الوجود الواحد بعينه هو الحق من وجه وهو الخلق من وجه آخر، ولا يمنع ظهور الكثرة من شهود الوحدة ولا يحجز شهود الوحدة ظهور الكثرة.

(وأيضًا منها)

الوجود غير المشروط يسمى الوحدة ويسمى (الأحد) إذا ثبت له الشرط

والمأخوذ بالشرط الشيء الذي هو الواحد

اعتبر ظهوره من الأزل إلى الأبد

أول تعيُّن يتلو غيب الهوية ومرتبة اللاتعيين هو الوحدة أصل جميع القابليات ويتساوى ظهورها مع بطونها ، ولا تشرط وتقيد بأي من انتفاء الاعتبارات وإثباتها ، بل إنها هي عين قابلية الذات لبطون الاعتبارات وظهورها وأزليتها وأبديتها وانتفائها وإثباتها ، ولهذه الوحدة اعتباران : (الأول) اعتبارها بشرط عدم الاعتبارات وسقوطها بالكلية وهو اعتبار الأحدية وتسمى الذات بهذا الاعتبار (الأحد) ويتعلق بهذا

الاعتبار بطون الذات وأزليتها ، و(الثانى) اعتبارها بشرط ثبوت الاعتبارات غير المتناهية لها وهذا اعتبار الواحدية ، وتسمى الذات بهذا الاعتبار (الواحد) ويتعلق بهذا الاعتبار ظهور الذات وأبديتها ، إذن فالأحدية هى مقام الانقطاع والاستهلاك للكثرة النسبية الوجودية ، ولو انتفت الكثرة الوجودية فى أحدية الذات وواحديتها فإن الكثرة النسبية متعقلة التحقق فيها كتعقل النصفية والثلثية والربعية فى العدد واحد الذى هو منشأ جميع الأعداد ، وجميع التعينات الوجودية غير المتناهية مظاهر لهذه النسب المتعقلة فى مرتبة الواحدية .

(وأيضًا منها)

لما تنـزلت الـذات إلى المراتب

أزاحت ستاراً بعد ستار عنها كلما تنزلت

وفى المرتبة الأخيرة تجمعت بذاك الكيف

فى وصفها سائر الشئون

(الإيجاد) هو استتار وجود الحق سبحانه بصور الأعيان الثابتة والماهيات وانصباغه بأحكامهما وآثارهما ، والغاية والثمرة من استتار وجود الحق بصورة كل عين ثابتة هى ظهوره سبحانه بحسب الشأن الذى تكون هذه العين الثابتة مظهره على ذاته سبحانه ، إما على نفس هذا الشأن أو على أمثاله جمعاً وفرادى ؛ وإما أن يكون نفس ظهور هذا الشأن على الحق سبحانه أو على نفسه أو أمثاله كذلك جمعًا وفرادى ، وإما بالجمع بين الظهورين ، وكل شأن يظهر يكون الحق سبحانه بحسبه

أو الشأن الكلى الجامع لجميع أفراد الشئون أو الشأن الذى هو بعض من أفراد هذه الشئون ، ولا يتحقق ظهوره سبحانه بأحدية الجمع نفسها إلا بالنسبة لهذا الشأن الكلى الجامع الذى هو حقيقة الإنسان الكامل . إذن فإن الحق سبحانه يظهر فى مرآة الإنسان الكامل على ذاته من حيث الشأن الكلى الجامع بكليته وأحدية جمعه ، ثم يكتسب كل شأن حكم جميع الشئون ويظهر كل منها بلون الجميع ويبدو كل فرد بوصف المجموع ، لأنه كما فى مرتبة الأحدية يشمل جمع كل شأن جميع الشئون كذلك فى مرتبة الإنسان الكامل وهو الشأن الكلى الجامع. ويشمل شأن من هذه الشئون جميع الشئون . وغاية الغايات من ظهور وجود الحق سبحانه بحسب كل شأن هو هذا الاكتساب المذكور وليس ظهور ذاك الشأن فقط أو ظهور كل الحق سبحانه بحسب ذاك الشأن .

(تمثيل) يحصل للحقيقة النوعية الإنسانية صناعة الكتابة والشعر والعلم والفضل وغيرها بالقوة . وسائر هذه الأوصاف يندرج فيها من غير امتياز بعضها عن بعض وحين تظهر هذه الحقيقة فى كل من أفرادها بواحد من هذه الأوصاف مثلاً في زيد بالشعر فى عمرو بالكتابة وفى بكر بالعلم وفى خالد بالفضل فلا يطلق أحد هذه الأوصاف على غيرها ، ولا ينصبغ أحدهم بحكم الآخر فلا يمكن قول إن الكاتب شاعر وعالم وفاضل وعلى هذا القياس ، لكن إذا تجمعت هذه الأوصاف في ذات واحدة بشرية مثلاً فلا شك من أن كل واحد من هذه الأوصاف يتصف بما عداه بحيث يمكن القول إن الكاتب شاعر وعالم وفاضل أو إن الشاعر كاتب وعالم وفاضل إلى غير ذلك أيضًا كذلك

كل واحد من هذه الأوصاف ، يضاهي ذاك الشأن الكلي للحقيقة الإنسانية وهي قابلية الأوصاف المذكورة في الاتصاف بالجميع وعدم الاختصاص بوصف دون وصف، إذن فحقيقة النوع الإنساني – ولله المثل الأعلى – بمنزلة حضرة أحدية الجمع الإلهي وصنعة الكتابة والشعر وغيرهما بمثابة الشئون الإلهية وزيد وعمرو وبكر وخالد مجلى المظاهر التفصيلية الفرقانية وهي العالم ، والبشر مثال المظهر الأحدي الجمعي الإنساني الذي ظهر كل من أفراد الشئون فيه بلون الجميع وضاهي الشأن الكلي وهو مفتاح مفاتيح الغيب والله أعلم.

(وأيضًا منها)

الواحد يرى الجميع في أحد العدد

كما يرى الأحد ضمن العدد

يعني بالكمال الذاتي وكمال الأسماء

يرى الجميع في ذاته ويرى ذاته في الجميع

للحق – سبحانه – كمال ذاتي وكمال اسمي ، والمراد بالكمال الذاتي ظهور الذات لنفسه بنفسه في نفسه من أجل نفسه بلا اعتبار للغير والغيرية ، والغنى المطلق يلزم الكمال الذاتي ، ومعنى الغني المطلق أن تكون الشئون والأحوال والاعتبارات للذات بأحكامها ولوازمها على وجه كلي إجمالي ، والتي تظهر في جملة المراتب الإلهية والكيانية للذات في بطونها ، واندراج الكل في وحدتها كاندراج جميع العداد ومراتبها ، الجمع في الواحد والواحد في الأحد تكون هذه الشئون وغيرها مشاهدة

وثابتة بجميع صورها وأحكامها كما ظهرت وتظهر وتثبت وتشاهد مفصلة فى المراتب إلى الأبد ، إذن فالذات الأقدس بهذه المشاهدة مستغنية عن العالم والعالمين وظهورهم على وجه التفصيل في مراتب أبد الآبدين ؛ لأن علم الحق سبحانه وشهوده يحصل لهم بجميع أحكامهم ومقتضياتهم عند اندراجهم في واحديته لكنه شهود غيبى علمي كشهود المفصل فى المجمل والكثير فى الواحد ، والنخلة مع الأغصان وتوابعها فى نواة واحدة ، والعالم والعالمون في هذا الشهود معدومون في أنفسهم ولا يوجبون الكثرة الوجودية لأنهم جميعًا صور علمية ليس لها تحقق وثبوت فى غير ذات العالم ، والمراد بكمال الأسماء ظهور الذات وشهودها فى تعيناتها هذه المسماة بالغير والسوى ، وهذا الشهود عيانى وجودى كشهود المجمل في المفصل والواحد فى الكثير والنواة فى النخلة وتوابعها ويستلزم التعدد الوجودى.

(وأيضًا منها)

حتى يصير الحق عيانا بجملة الأوصاف

فـإن الواجب هو الذى يظهر ممكنا

وإلا فـإن الحق بكماله الذاتى عن العالمين

فرد وغنى كما بين هو نفسه

حضرة الحق – سبحانه وتعالى – بموجب قوله (إن الله لغنى عن العالمين) مستغن بحسب كماله الذاتى عن وجود العالم والعالمين ، أما تحقق الكمال الأسمى وظهوره فموقوف على وجود أعيان الممكنات التى

هي مرايا الصفات ومجاليها واعتبارات الذات لأن كمال الأسماء – كما مر – هو ظهور الذات المقدسة وشهودها في مراتب التعينات المسماة بالغير والسوى .

(سؤال) لو قيل حينئذ يلزم استكمال الحق بالغير (جواب) قلنا إن المرآة أيضاً وهي المظهر والمجلي ليست هي الغير مطلقًا حتى يلزمها الاستكمال بالغير ، وإنما لها جهتان ؛ أولهما : تعينها الشخصي الذي يلحقها وهو جهة الغيرية ، وثانيهما : جهتها الوجودية التي يقوم جميع الموجودات بها وهي عين وجود الحق – سبحانه – هكذا قال بعض شارحي النصوص ، ولا يخفى أن مرآتية الموجودات ومظهريتها لوجود الحق من حيث الغيرية لا من جهة العينية ، لأن مظهرية المرايا والمظاهر باعتبار التعين والتقيد وهي باعتبار التعين والتقيد غير الوجود المطلق ، ولو اتحدت في حقيقة الوجود ، ويعني المحققون بهذا الغيرية ، وغير الحقيقي نفسه عدم محض. إذن فالجواب الصواب هو قولهم إن الذات في نفسها كاملة بلا وجود الأغيار وهم المظاهر المقيدة ، وكمال الأسماء بسبب كمال المظاهر والأسماء والشئون لا بسبب الكمال المحض للذات ؛ إذن فلا يلزم استكمال الذات بالغير .

(وأيضًا منها)

طالب الشر وكاسب الخير

وصاحب الخانقاه وراهب الدير

هم الغـير على السواء لـيسوا العين مـن وجهة التـعين وهم العين وليسوا غيراً من وجوة الحقيقة

مضى فيما سبق أن حقائق الأشياء هي تعينات الوجود المطلق في مرتبة العلم ، ووجود الأشياء هي تعيناته في مرتبة العين ، إذن فحقائق الأشياء ووجوداتها من حيث محض حقيقة الوجود كل منهما عين الآخر وهما عين الوجود المطلق ويرتفع التمايز والتغاير عنهما بالكلية ، أما من حيث التعين يغاير كل منهما الآخر كما يغايران الوجود المطلق ، لكن تغاير أحدهما للآخر فباعتبار الخصوصيات التي تميز كل منهما عن الآخر ، أما مـغايرتهما للوجود المطلق فـبسبب أن كل منهـما تعين مخصوص للوجود الواحد المغاير لسائر التـعينات ، والـوجـود المطـلق لا يغاير الكل ولا يغاير البعض بل هو كل في كل العين وبعض في بعض العين ، ولا ينحصر في الكل وفي البعض ، إذن فغيريته باعتبار الإطلاق من الكلية والبعضية ومن الإطلاق أيضا فافهم إن شاء الله العزيز.

(وأيضًا منها)

أيهـــا المنســـوب إلى فـــهم المشكلات

والمحـجـوب عن نسـبـة الإمكان والوجـوب

الإمكان هو الصـفـة الظاهـرة للعلم وحـسـب

والوجـــوب مـخـصـــوص بظاهر الوجـــود

حيناً يطلق ظاهر الوجود مقابلاً لباطن الوجود وهو مرتبة اللاتعين والتجرد من المظاهر ويكون المراد حينئذ من ظاهر الوجود مراتب التعينات الكلية والجزئية الوجوبية والإمكانية ، وحينا آخر يطلق ظاهر الوجود مقابلاً لباطن الوجود الذي هو الصور العلمية والأعيان الثابتة ، فالمراد حينئذ منه جهة عالمية حضرة الوجود لأنه حين يتجلى حضرة الوجود على ذاته بذاته وشئون ذاته واعتباراتها فلا شك من أن حيثيتين تظهران له : حيثية العالمية وحيثية المعلومية.

وحيثية المعلومية وهي الصور العلمية والأعيان الثابتة باطنة وخفية في ذات العالم وذات العالم ظاهرة بالنسبة لها كما نرى هذا المعنى في أنفسنا وفي أعمالنا ، ويظهر جلياً أن كلاً من هاتين الحيثيتين المذكورتين لها اقتضاءات عديدة خاصة مع وجود التمايز بين العالم والمعلوم بمحض الاعتبار ، مثل الوحدة والوجوب والإحاطة والتأثير للعالمية ومقابلاتها ، وهي الكثرة والإمكان والمحاطية والتأثير للمعلوم ، إذن فحين يقال إن الوجوب هي الصفة الظاهرة للوجود فالمراد به ظاهر الوجود بالمعنى الثاني لا بالمعنى الأول ؛ لأن ظاهر الوجود بالمعنى الأول يشمل كافة التعينات الوجوبية والإمكانية كما سبق ؛ إذن فصفة الوجوب لا تشمل جميع التعينات الظاهرة للوجود بالمعنى الأول ويتبادر الشمول بسبب نسبة الوجوب إليه كما لا يخفى.

والمراد بظاهر العلم هو الصور العلمية والأعيان الثابتة التي من لوازمها صفة الإمكان ، وهي تساوي نسبتها بالظهور والبطون اللذين يعبر بهما عن الوجود والعدم الخارجي والباطن.

وظاهر العلم هو عين الوجود الشامل للشئون والاعتبارات ومن حيث ظاهرهما يقع التميز النسبي فافهم فإنه سر مُبْهم .

(وأيضًا منها)

الحق هو العالم وأعيان الخلائق هي المعلوم

والحاكم معلوم والعالم محكوم

يعمل عليك بموجب حكمك

فأت المعذب وأنت المرحوم

(وأيضًا منها)

لا مانع لحكم القضاء والقدر

يقع بموجب العلم الأزلي

ويتبع العلم الأزلي الأعيان

وتتبع الأعيان شئون الحق

القضاء هو الحكم الإلهي الكلي على أعيان الموجودات بالأحوال الجارية وبالأحكام الطارئة عليهم من الأزل إلى الأبد ، والقدر هو تفصيل هذا الحكم الكلي بما يُخَصص إيجاد الأعيان بالأوقات والأزمات التي تقتضي استعداداتها وقوعه فيها ، وبأن يعلق كل حال من أحوالها بزمان معين وسبب مخصوص ، وسر القدر هو أن لا يمكن لأي عين من الأعيان الثابتة أن يظهر في الوجود ذاتًا وصفة وفعلاً إلا بقدر خصوصية قابليته

الأصلية واستعداده الذاتي وسر سرّ القدر هو أن الأعيان الثابتة ليست أموراً خارجة عن ذات الحق سبحانه وتعالى ؛ لأنها معلومة لدى الحق أزلاً وتعينت في علمه على ما هي عليه بل هي النسب والشئون الذاتية للحق ، إذن فلا يمكن أن تتغير عن حقائقها لأن ذاتيات الحق ﴿سبحانه وتعالى﴾ منزهة ومبرأة عن قبول الجعل والتغير والتبدل والمزيد والنقصان، فإذا علمت هذه الأمور فاعلم أن حكم الحق - سبحانه وتعالى - على الموجودات تتبع علمه بأعيانها الثابتة ، وعلمه سبحانه بالأعيان تابع للأعيان بمعنى أنه لا أثر البتة للعلم الأزلي في المعلوم بإثبات أمر له لم يثبت أو بنفي أمر ثبت بل إن تعلق علمه بالمعلوم على ذاك الوجه الذي عليه هذا المعلوم في حد ذاته وليس للعلم فيه بأي شكل تأثير وسريان . والأعيان الثابتة هي صور النسب والشئون الذاتية لحضرة الحق سبحانه وتعالى ، والنسب والشئون الذاتية للحق مقدسة ومنزهة عن التغير والتبدل أزلاً وأبداً ، إذن فالأعيان بدورها ممتنعة التغير عما هي عليه في حد أنفسها. وحكم الحق عليها بمقتضى قابلياتها وموجب استعداداتها ، وكل منها يطلب بلسان الاستعداد من حضرة الحق والوجود عز شأنه فيعطيه وينعم عليه بما يليق به وبقدر ما يجدر له بلا نقصان وزيادة سواء من دركات الشقاوة أو من درجات السعادة.

(وأيضًا منها)

الأعيان التي ظهرت من مكمن الغيب

وارتدت من حضرة الحق خلعة الوجود

على موجب حكمه (وهو يبدىء ويعيد)

لهـــا فى كل آن خلعـــة ولبس جـــديد

(وأيضًا منها)

الشىء الذى ظهـــوره علـى منوال واحـــد

وفى صـفـة الوجـــود على حـــال واحـــدة

إذا كـــان له بـقـــاء من الـوهلـة الأولى

فليس بـقـــاء وإنما تجـــدد الأمـــثـــال

حقيقة الإنسان بل كل ذرة من ذرات العالم بالنسبة إلى ذاته وحقيقته لا إلى علم موجده تعالى به عدم يعرض ويطرأ من فيض وجود الحق تعالى وجوده عليه بحسب قابليته ، وذاك برابطة الوجود العلمي الذى كانت لصورة معلوميته فى علم الحق تعالى القديم ، قال الله تعالى (أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يكن شيئا) ، وبعد وجوده هذا الوجود العارض عليه فإنه يميل بموجب (كل شىء يرجع إلى أصله) كل لحظة إلى أصله وهو العدم ، أو بحد قولى أنا إنه ليس لأى شىء أصلاً حظاً من الثبات والقرار بسبب نفاذ الأمر القاهر للوحدة الحقيقية فى محل ظهور آثار الاسم العظيم لله وهو (الظاهر) ، وليس لأى شىء قط حظاً من الثبات والقرار أصلاً حتى للزمان المتعارف الموهوم الاتصال الذى لايمكن تصور معنى البقاء بدون ملاحظته ، أو أقول إن الذات الإلهية بسبب أن أسماءها وصفاتها هى التى تتجلى دائمًا على أعيان العالم كما أن بعض هذه الأسماء يقتضى وجود الأشياء فإن بعضها يقتضى عدم الأشياء مثل المعيد والمميت والقهار وغيرها ، إذن

فالحق سبحانه وتعالى يتجلى حيناً بالأسماء القاضية بوجود الأشياء ، ويتجلى حيناً آخر بالأسماء القاضية بعدم الأشياء ، بل إنه يتجلى في كل زمان لا بل في كل آن بكل نوع من هذين النوعين لأسمائه ، وعليه فإن الأشياء ترجع في كل آن إلى عدمها الأصلي وفنائها الذاتي وتنخلع من اللباس العارض والخلعة المستعارة للوجود ، ولكن بسبب المدد الذي يلحقها لحظة بعد لحظة من صفة بقاء الحق تعالي ، وتتلبس في نفس تلك اللحظة بوجود آخر وهذه الخلع والألبسة دائمة الوقوع فلا ينقطع في أي وقت أثر إيجاد الحق تعالي وخالقيته عنهم برغم أنهم غافلون عن وصول هذا الأثر والمدد إليهم كما قال تعالي (بل هم في لبس من خلق جديد) ، وبعض الأمور التي تظهر باقية للرؤية على حال واحدة ويدوم ظهورها على وتيرة واحدة فيجب اعتبار ذاك الظهور والدوام من تجدد التعينات المتماثلة المتوافقة ، ولا يجب الوقوع في الغلط بسببها ؛ لأن الفناء والبقاء أمران اعتباريان يظهران من تجدد التعينات المتباينة والمتوافقة ، وإنما البقاء الحقيقي لازم بذات الوجود ومجازي بحسب امتداد المظاهر المتوافقة والفناء اسم ارتفاع تعين مخصوص وهو لازم لذات التعين (ما عندكم ينفذ وما عند الله باق) وقال بعضهم - قدس الله أسرارهم - العالم بجميع جواهره وأعراضه صور وأشكال للأعيان الثابتة الظاهرة في مرآة وجود الحق المطلق أو هو من نفس تعينات الوجود الحق وتنوعات الوجود المطلق الظاهر في صور حقائق العالم ، والأعيان الثابتة وجود . والوجود الحق المطلق دائم الفيضان والسريان في حقائق الأعيان ، إذن فما يقبل من الوجود الحق للصـورة العينية من الأعيان على الوجه الأول أو ما تعين من وجود الحق في صورة عين

من الأعيان على الوجه الثاني يتلبس بصورة تلك العين لدى ملابسته للوجود ومحاذاته لتلك العين ، وبسبب الاتصال الفيضي الوجودي التابع لذاك الفيض الأول ينخلع ذاك الفيض الأول عن صورة تلك العين ويتلبس بصورة أخرى تكون لتلك العين في مواطن أخرى حتى يظهر الوجود بصورة هذه العين في جميع مراتب الوجود ومواطنه ، وفي نفس ذاك الآن أيضاً يتلبس الوجود المتعين ثانياً التابع للأول بصورة تلك العين مثل وجود المتعين أولاً ، وهكذا الأمر دائماً أبداً ، ومثال هذا بعينه الماء الجاري الذي إذا حاذى جزء منه موضعاً من النهر فإنه يتشكل بشكل هذا الموضع ويظهر بصورته ولكنه لا يبقى بهذا الموضع في آنين معاً ؛ بل يمر في تلك اللحظة ويترك موضعه لجزء آخر فيتشكل هذا الجزء الثاني بدوره بشكل ذاك الموضع ثم يتبدل إلى الجزء الثالث في الحال وهكذا إلى ما لانهاية ، لكن الحسُّ بسبب تشابه الأجزاء المائية وتشكلها بشكل واحد لا يستطيع أن يميز بينها ويعتبر الجزء الثاني مثلاً نفس الجزء الأول مع أن حكم العقل الصحيح والكشف الصريح بخلاف ذلك .

(وأيضاً منها)

الحق وحداني وفيض الحق وحداني

وإنما كثرة الصفة للقوابل الإمكانية

وأي نوع من التفاوت تشاهده

يجب أن تعده من اختلاف القوابل

إن إمــداد الحق – سبـحانه وتعالي -- وتجلياته تصل إلى أعيان الموجودات في كل لحظة ونفس ، وفي تحقيق أوضح وأتم هو تجلٍ واحد يظهر له بحسب قوابلها ومراتبها واستعداداتها تعينات متعددة ونعوت وأسماء وصفات متكثرة متجددّة ، وليس لأن ذاك التجلي متعدد في نفسه أو أن وروده طارئ ومتجدد بل لأن أحوال الممكنات مثل التقدم والتأخر وغيرهما تصير مرهونة بالتجدد، ويُفضي التعدد إلى التغير والتقييد وإلا فإن أمر ذاك التجلي أجلى وأعلى من أن ينحصر في الإطلاق والتقيد، ويتصف بالنقصان والزيادة ، وهذا التجلي الأحدي المشار إليه ليس إلا الفيض الوجودي والنور الوجودي الذي لا يصل غيره من حضـرة الحق – سبحانه وتعالي -- إلى الممكنات لا بعد الاتصاف بالوجود ولا قبله ، وكل ما هو خلاف ذلك هو أحكام الممكنات وآثارها التي يتصل بعضها ببعضها الآخر بعد الظهور بالتجلي الوجودي المذكور ، ولأن هذا الوجود الذاتي ليس لما سوى الحق سبحانه بل يستفاد من التجلي المذكور فإن العالم مفتقر إلى هذه الامداد الوجودية الأحدية مع الآنات دون فترة وانقطاع لأنه إذا انقطعت هذه الأمداد طرفة عين عاد العالم إلى فنائه الأصلي وعدمه الذاتي، لأن حكم العدم أمر لازم للممكن مع قطع النظر عن الموجد تعالى وله وجود عارض، والتفاوت الواقع بين الممكنات المتمثل في تقدمها أو تأخرها في قبول هذا الوجود الفائض بسبب التفاوت بين استعدادت ماهياتها. إذن فكل ماهية تامة الاستعداد هي الأسرع والأتم في قبول الفيض مثل ماهية القلم الأعلى المسمى بالعقل الأول ، وكل ماهية ليست تامة الاستعداد تتأخر في قبول الفيض عن تامة الاستعداد سواء بواسطة

واحدة أو بوسائط كما ثبت شرعاً وكشفاً وعقلاً . ومثال هذا بعينه وجود النار في النفط والكبريت والحطب اليابس والحطب الأخضر ، فلا شك في أن النفط أسرع وأتم في قبول الصورة النارية عن غيره ، ثم يليه الكبريت ، ثم الحطب اليابس ، ثم الحطب الأخضر إذن لا يخفى أن علة سرعة قبول النفط للصورة النارية هي قوة التناسب الموجودة بين النفط والنار من الحرارة واليبوسة وهما من الصفات الذاتية للنار ، وكذلك علة تأخر قبول الحطب الأخضر فلها حكم التباين الثابت له من الرطوبة والبرودة المنافية لطبع النار وصفاتها الذاتية ، لكن يجب التنبه إلى أن بيان علة التناسب والمباينة ممكنة في هذه الأمثلة لكنها متعذرة بين الاستعدادت والفيض الصادر من الموجد تعالى شأنه ؛ لأنه من الأسرار الإلهية التي لا يمكن أن يطلع عليها غير كملّ أولياء الله - رضوان الله عليهم أجمعين - ولا يجوز إفشاؤه على غير أهله.

(وأيضاً منها)

ليس في الكون والمكان عيان غير نور واحد

ظهر هذا النور بأنواع الظهور

الحق هو النور والعالم تنوع ظهوره

وهذا هو معنى التوحيد وما عداه وهم وغرور

النور الحقيقي ليس أكثر من واحد وهو نور الله ، ونور الله منبسط وغير محدود وغير متناه ، والعالم هو تجلى نور الله تجلى ببضع آلاف صفة وأظهر نفسه بهذه الصور. أعلم وفقك الله وإيانا لفهم الحقائق أن

تعينات الحق وتميزات الوجود المطلق بحسب الخصوصيات والاعتبارات والشئون التي تختفي في غيب الذات لا تخلو من أن تكون في مرتبة العلم أو في مرتبة العين ، فإن كانت في مرتبة العلم فهي حقائق الأشياء وماهياتها المسماة في اصطلاح هذه الطائفة بالأعيان الثابتة.

وإذا كانت في مرتبة العين فهو وجودات الأشياء ، إذن حقائق الأشياء عبارة عن تعينات الوجود الحق في مرتبة العلم باعتبار خصوصيات الاعتبارات والشئون المختفية المستجنة في غيب الذات ، وحين يتجلى الوجود على نفسه يتلبس بشأن من شئون التجلى الغيبي الحقيقي من حقائق الموجودات ، وحين يتجلى يتلبس بشأن آخر لحقيقة أخرى من الحقائق وعلى هذا القياس. ووجود الأشياء عبارة عن تعينات وجود الحق وتميزاته في مرتبة العين باعتبار أحكام هذه الحقائق والماهيات وآثارها بنحو أن تكون الحقائق والماهيات على الدوام في باطن الوجود أعني مرتبة العلم ثابتة وآثارها وأحكامها ، وهي الظلال والعكوس لها في ظاهر الوجود وهو المجلى والمرآة تكون واضحة وبادية لباطنه وقتما يتعين ظاهر الوجود بسبب انصباغه بآثار وأحكام لحقيقة من حقائق موجود من الموجودات العينية الخارجية. وحين ينصبغ بأحكام حقيقة أخرى يوجد موجود آخر من تلك الموجودات هكذا إلى ما لانهاية. إذن فهذه الموجودات المتكثرة المتعددة المسماة بالعالم ليست غير تعينات نور الوجود الحق سبحانه وتنوعات ظهوره التي تبدو ظاهراً ، بحسب المدارك والمشاعر التي هي من أحكام تلك الحقائق وآثارها متعددة ومتكثرة بينما هي في الحقيقة على نفس وحدتها الحقيقية التي هي منبع

لكل الوحدة والكثرة والبساطة والتركيب والظهور والبطون . ولا يخفى أن التعين هو صفة المتعين ، وصفة عين الموصوف من حيث الوجود مع أنهما يتغايران من حيث المفهوم ولذا قيل (التوحيد للوجود والتميز للعلم) والله أعلم بالحقائق.

(وأيضًا منها)

الأعيان جميعًا زجاجات مختلفة

سقط عليها شعاع من نور الوجود

وكل زجاجة حمراء كانت أوصفراء أو زرقاء ظهرت

الشمس فيها كذلك بنفس لونها

نور الوجود الحق - سبحانه وتعالى ، ولله المثل الأعلى - بمثابة النور المحسوس والحقائق والأعيان الثابتة بمنزلة الزجاجات المتنوعة المتلونة ، وتنوعات ظهور الحق - سبحانه - فى تلك الحقائق والأعيان كالألوان المختلفة ، وكما أن ظهور ألوان النور بحسب ألوان الزجاج الذى يحجبه وهو فى نفس الأمر ليس له لون حتى إذا كان الزجاج صافيًا وأبيض ، ويبدو النور فيه أو به صافيًا وأبيض وإذا كان الزجاج كدرًا وملونًا ، يبدو النور فيه كدرًا وملونًا مع أن النور فى حد ذاته مجرد ومبرأ من اللون والشكل فكذلك نور الوجود الحق - سبحانه وتعالى - له ظهور مع كل واحدة من الحقائق والأعيان ، فإن كانت تلك الحقيقة والعين قريبة إلى البساطة والنورانية والصفاء مثل أعيان العقول والنفوس المجردة ظهر نور الوجود فى ذاك المظهر فى غاية الصفاء والنورانية

والبساطة ولو كانت بعيدة كأعيان الجسمانيات بدا نور الوجود فيها كثيفاً مع مع أنه ليس كثيفا أو لطيفا في نفسه ، إذن فهو تقدس وتعالى الواحد الحقيقي والمنزه عن الصورة والصفة واللون والشكل في حضرة الأحدية كما أنه سبحانه الذي ظهر في المظاهر المتكثرة بالصور المختلفة بحسب الأسماء والصفات ، وأجلى ذاته على نفسه بتجلي الأسماء والصفات والأفعال.

(وأيضًا منها)

حين يتنفس البحر ما يسمى البخار

وحين يتراكم ذاك النفس يتكون السحاب

ثم إذا قطر هذا السحاب انهمر مطراً وصار المطر سيلاً وصار السيل في النهاية بحراً

(وأيضًا منها)

الوجود بحر قديم جداً بلا قاع

ثم ظهر في صورة الموج والحباب

فاحذر أن يحجبك الحباب أو الموج

عن البحر فكل ما عداه سراب

البحر في اللغة العربية اسم للماء الكثير وليس في الحقيقة غير الماء ، وحين تتعين وتتميز الحقيقة المطلقة للماء بصورة الموج يسمى موجًا ، وحين يتقيد بشكل الحباب يسمى حباباً ، وكذلك إذا تبخر سمى

بخاراً وإذا تراكم هذا البخار وصار طبقة فوق طبقة تحول سحاباً وأصبح هذا السحاب بسبب التقطر مطراً ، ثم صار هذا المطر بعد تجمعه وقبل بلوغه البحر سيلاً ثم غدا السيل بعد وصوله البحر بحراً ، إذن فالبحر فى الحقيقة ليس هنا إلا شيئًا واحداً وهو الماء المطلق الذى يسمى بهذه الأسماء بحسب الاعتبارات وعلى نفس هذا القياس ليست حقيقة الحق - سبحانه وتعالى - غير الوجود المطلق ، الذى بسبب تقيده بالمقيدات يسمى بأسمائها بحيث يسمى أولاً بالعقل ، ثم بالنفس ، ثم بالفلك ، ثم بالأجرام ، ثم بالطبائع ، ثم بالمواليد إلى غير ذلك ، وليس فى الحقيقة غير الوجود والمطلق الذى تسمى بهذه الأسماء بحسب اعتبارات تنزله من حضرة الأحدية إلى الواحدية ومن حضرة الواحدية إلى حضرة الربوبية ومنها إلى حضرة الكونية ، ومنها إلى حضرة الجامعة الإنسانية وهى آخر الحضرات الكلية ، إذن فإن ينظر الجاهل إلى صورة الموج والحباب والبخار والسحاب والسيل وقال إن هذا هو البحر ، ولم يعلم أن البحر ليس إلا الماء المطلق الذى ظهر بصور هذه المقيدات وأجلى نفسه فى هذه المظاهر المختلفة ، فمثله من ينظر إلى مراتب العقول والنفوس والأفلاك والأجرام والطبائع والمواليد ويقول إن هذه هى الحق ، ولم يعلم أنها جميعًا مظاهره ، وهو سبحانه لا يخرج عن هذه المظاهر وهى لا تخرج عنه ، أما العارف فحين ينظر يعلم ويرى أنه كما أن البحر اسم للحقيقة المطلقة للماء ، المحيط بجميع مظاهره وصوره من الموج والحباب وغيرهما ، وليس بين الماء المطلق وهذه المظاهر والصور مغايرة ومباينة بل يصدق على كل قطرة من القطرات وكل موجة من الأمواج أنها هى عين الماء من حيث الحقيقة وهى غيره من حيث التعين ، فكذلك اسم الحق

عبارة عن الحقيقة المطلقة المحيطة بكل ذرة من ذرات الموجودات وبكل مظهر من مظاهر الكائنات ، وليس بينها وبين هذه المظاهر تغاير وتباين، ويصدق اسم الحق على كل منها من حيث الحقيقة مع أنه غيرها من حيث التعين ؛ إذن فلا يرى فى الواقع غير وجود مطلق ووجود مقيد ويعتبر حقيقة الوجود فى كلا الاثنين واحدة ، ويعد الإطلاق والتقيد من نسبها واعتباراتها .

(وأيضًا منها)

أعيان الحروف مختلفة فى صورها

كنها جميعًا في ذات حرف الألف مؤتلفة

فهى من ناحية التعين متخالفة

ومن ناحية الحقيقة هى جميعا عين الألف

الألف الملفوظة صوت مطلق ممتد لا يتقيد بالصدور من مخرج أو بعدم الصدور منه ، والألف المكتوبة امتداد خطي غير مقيد بشكل مخصوص من الأشكال المختلفة الحرفية أو بعدمه ، إذن فالألف اللفظية هى حقيقة الحروف اللفظية التي تقيدت بسبب مرورها على المخارج المخصوصة بكيفيات مختلفة وتسمت بأسماء كثيرة ، والألف الخطية هى حقيقة الحروف المرقومة التى تشكلت بأشكال مختلفة وسميت بأسماء كثيرة ، وعلى كل تقدير هي دالة بالمماثلة فى الوجود المطلق الذى هو أصل الموجودات المقيدة وليس به أى قيد ، لكن ليس له ظهور إلا ضمن وجود المقيد ، والحقيقة المقيدة هي نفس هذه الحقيقة المطلقة بانضمام

قَيْدٍ ، والمقيدات باعتبار خصوصيات القيود يغاير بعضها بعضاً وباعتبار الحقيقة المطلقة أحدها عين الآخر.

إذن فحقيقة جميع أجزاء الوجود وجود واحد ظهر بسبب الاحتجاب بصور تعينات الموجودات واحتجبت بواسطة الظهور في ملابس تنوعاتها كشأن ظهور الألف بالحروف واحتجابها بكيفياتها وأشكالها.

(وأيضًا منها)

في مذهب أهل الكشف وأرباب العقل
الواحد سارٍ في كافة أفراد العدد
لأن العدد ولو زاد عن الحد
فإن الواحد صورته ومادته على السواء

(وأيضًا منها)

تحصيل وجود كل عدد من الواحد
تفصيل مراتب الواحد من العدد
والعارف الذي يستمد من الفيض روح قدسه
يعتقد بأن علاقة الحق بخلقه كالواحد بالعدد

للواحد ظهور في مراتب الأعداد من الاثنين إلى مالا نهاية له ، وكل ظهور له في كل عدد خاصية وفائدة لا يوجدان في العدد الآخر ، وحقيقة كل عدد تغاير حقيقة الآخر وكلها تفصيل لمرتبة العدد واحد يعني أنها

تُبَيِّنه : لأن الواحـد هو الذى ظهـر بتكرار فى هذه المراتب لأن الاثنين واحدان والثلاثة ثلاثة واحدات وكذلك جميع الأعداد التى تجمعت فى هيئة وحدانية وحصل منها رقم اثنين وثلاثة وغيرهما من الأعداد ، إذن فمادة الأعداد واحد متكرر وصور الأعداد أيضًا صورة الواحد ؛ إذن فكل الأعداد موجودة بالواحد والواحد باق أزلاً وأبداً على واحديته ، وإيجاد الواحد للأعداد بتكرار نفسه مثال لإيجاد الحق للخلق بظهوره فى الصور الكونية ، وتفصيل العدد لمراتب الواحد مثال لإظهار أعيان أحكام الأسماء والصفات ، والارتباط بين الواحد والأعداد وهو موجدها وهى تفصيل مرتبته مثال للارتباط بين الحق والخلق فالحق موجد للخلق والخلق تفصل مرتبته تنزلات الحق وظهوراته ، وحين تقول إن الواحد نصف الاثنين وثلث الثلاثة وربع الأربعة وخمس الخمسة فقولك مثال للنسب اللازمة التى تسمى صفات الحق.

(وأيضًا منها)

المعشوق واحد لكن وضع أمامه
لرؤيته آلاف المرايا
فظهرت فى كل واحدة من هذه المرائى
صورته بنفس صقل المرآة وصفائها

الوجود الحقيقى واحد ممتاز عن سائر الموجودات من حيث الإطلاق والذات وظاهر بذاته فى صور أعيان جميع الموجودات من حيث الأسماء والصفات ، وهذه الأعيان هى مرائى تعيينات نوره ومجالى تنوعات

ظهوره حتى لا يظهر فيها غير الوجود المتعين بحسب مجلى المرآة وصفائها وكرورتها .

والتعدد الذى يشاهد هو بحسب تعدد المرائي ومثاله في المحسوس أنك مثلاً إذا توجهت إلى جدار تثبتت عليه جميع هذه المرائى ، فلا شك أنك ستظهر فى كل مرآة منها صورتك ولكن بظهورات مختلفة بحسب جوهر المرآة ومجلاها ، ولسوف تعلم - بلا ريب - أنك أنت الظاهر فيها وليس غيرك أحد آخر وأنت كما أنت وبالصفة التى كنت عليها فى مرتبة وجودك، إذن فاعتبر أعيان الموجودات بمنزلة المرائى المتعددة المتكثرة وأن الذات الإلهية ولله المثل الأعلى بمثابة الوجه الواحد .

(شعر)

فـمـا الوجـه إلا واحـد غـيـر أنه

إذا أنـت عَـدَدت المرايا تـعـددا

(فرد)

بـكل مـرآة بـوجـه مـخـتـلف

يـظهـر جـمـالـه فى كـل لحظة

(نظم)

وجـه واحـد وله مـائتـا ألف بـرقع

وضفـيـرة واحـدة لهـا مـائتـا ألـف مـشط

شـمعـة واحـدة ولهـا مـائتـا ألف مـرآة

وطائر واحـد وله ما لا يعـد من الأعـشـاش

والله ولي الهداية والإعانة

(وأيضًا منها)

لن تستطيع كشف الحجاب عن كنز الحقيقة

مـا لـم تخـرب طلسم وجـودك

الحـقـيـقـة هي البـحـر والكلام هو السـراب

ولا يرتوي أحـد من السـراب بدل البـحـر

(وأيضًا منها)

كنس غـبار الكثرة من ساحة القلب أفضل من الجـدال عبـثًا في الوحدة

لا تغتر بالكلام فتوحيد الله هو رؤيته واحدًا لا القول بأنه واحد

التأمل في الكلمات القدسية لأرباب التوحيد والتفكر في الأنفاس المباركة لأصحاب المواجيد – قدس الله أسرارهم – للتنبيه والتشويق لا لتحصيل كمال المعرفة وتحقيقها ؛ لأن علومهم ومعارفهم ذوقية ووجدانية لا نقلية وتقليدية أو عقلية وبرهانية ؛ إذن فمن كمال الجهالة وغاية الضلالة بسط بساط المباحثة والرضا بالمجادلة التي بلا حاصل وتفاوت عظيم بين قول اللسان وشعور الوجدان والسمع بالأذن وطي الدرجات

الكثار ، ولا يحلو فمك بذكر اسم السكر ما لم تذق السكر ، ولا يتعطر مشامك بريح المسك مهما وصفت المسك ، إذن فحين تتحرك فى الطالب الصادق سلسلة الشوق وتقوى داعية الطلب بواسطة مطالعة هذه الكلمات فلا يجب أن يقنع بمجرد السمع والقول ، بل يعقد حزام الاجتهاد ويسعى بحسب المقدور فى تحصيل هذا المطلوب فلعل التوفيق يوافقه والسعادة تساعده . وأعلى أطوار سلوك مشايخ الطريقة - قدس الله تعالى أسرارهم - فى تحصيل هذا المطلوب هو طريق سلوك حضرة الخواجة وخلفائه - أعنى الحضرة العلية - وصدر مسند الإرشاد والهداية ، جامع النعوت والخصائص للولاية ، ملاذ الزمان وقطب أهل الحقيقة والعرفان ، مظهر الصفات الربانية ومورد الأخلاق السبحانية إنسان عيون المحققين ، وارث الأنبياء والمرسلين ، الخواجة بهاء الحق والدين محمد بن محمد البخارى المعروف بالنقشبند - قدس الله تعالى روحه وطيب مشهده ونور ضريحه - لأن طريقه أقرب السبل إلى المطلب الأعلى والمقصد الأسنى وهو الله - سبحانه وتعالى - فإنها ترفع حجب التعينات عن وجه الذات الأحدية السارية فى الكل بالمحو والفناء فى الوحدة حتى تشرق سبحات جلاله فتحرق ما سواه، وفى الحق فإن نهاية سير المشايخ هى بداية طريقهم لأن أول ورودهم هو حد الفناء ، وسلوكهم بعد الجذبة يعنى التفصيل المجمل للتوحيد الذى هو المقصود من خلق العالم والناس (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) أى ليعرفون.

(وأيضًا منها)

حين ترى المُلك على مسند الفقر
فأنت عليم يقينا بأسرار الحقيقة

ولـو تنقش على لـوح قـلبـك صـــــــورتـه

تجد طريقًا من هذا النقش إلى (   ) النقشبند

(وأيضًا منها)

المتـألمـون يعلمـون سـر همـوم العـشق

وليس المتـــــفكهـــــون والمغـــــرورون

ويمكن السير متخطيًا النقش إلى من لا نقش له ، وهذا النقش الغريب يعرفه النقشبنديون

وطريقة توجه حضرة الخواجة وخلفائه – قدس الله تعالى أسرارهم – وتربية نسبتهم الباطنية هي إذا أراد أحد الاشتغال بهذه التربية فيستحضر أولاً صورة ذاك الشخص الذى ينتسبون إليه فى خياله حتى ذاك الوقت الذى تبدو فيه أثر حرارتهم وكيفيتهم المعهودة ، ثم يلازم تلك الكيفية كل منهم بتلك الصورة والخيال التى هى مرآة الروح المطلقة ، ويتوجه إلى القلب الذى هو الحقيقة الجامعة الإنسانية التى يفصلها مجموع الكائنات من العلوية والسفلية . ومع أن هذه الحقيقة منزهة عن الحلول فى الأجسام لكن بما أن نسبته توجد بينها وبين هذه القطعة الصنوبرية من اللحم أو القلب ؛ إذن فلا مناص من التوجه إلى هذه اللحمة الصنوبرية وتركيز النظر والفكر والخيال وسائر القوى عليها والحضور بها وإقرارها – أى الحقيقة – فى القلب ، ولا نشك فى أن الغيبة والفناء يحدثان فى هذه الحالة فيجب عد كيفيتهما طريقًا لابد من تعقبه ونفى أى فكرة ترد متوجهًا إلى حقيقة قلبه وحسب وعدم الانشغال

بأى شىء سواها والأسراع بالهرب فى ذاك المجمل إلى الكلى حتى يتحقق ذاك النفى ، ويمتد زمان كيفية الغيبة والفناء ، ولا ينفصم أحدهما عن الآخر كما قيل .

(بيت)

إن اســــــتطعت وصل الإعــــــدام

عــــرفت العـــمل بعـــمل أرْجَل الرجـــال

وقال حضرة الخواجة – قدس الله سره – فى ترقى حال هذه الكيفية وزيادة هذه النسبة ومقدمة ظهور صفة الفناء (مصراع) : (ألق بمراميك ونفسك إلى هذا الفناء) ، ولو اضطرب تفكيره فالأمل باستحضار خيال حضرة المرشد أن يندفع هذا التشويش وإلاّ فعليه أن يزفر فى ثلاث مرات أنفاسه بقوة كأنه يطرد شيئًا من دماغه ويخلى نفسه منه ، ثم ينشغل بالطريقة المذكورة ، وإذا عادت تلك الخواطر عليه بعد التخلية بالطريقة المذكورة أن يقول ثلاث مرات : (استغفر الله من جميع ما كره الله قولاً وفعلاً وخاطراً وسامعاً وناظراً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله).

ويجعل قلبه موافقًا لسانه فى هذا الاستغفار وينشغل تمامًا بدفع الوساوس الأصلية من قلبه بالكلام أو الفعال ، فإذا لم يندفع بهذا أيضاً يتأمل فى قلبه بضع مرات كلمة (لا إله إلا الله) ، بحيث يتصور أنه (لا موجود إلا الله)، فإذا لم يندفع بهذا كذلك يقول مراراً جهراً (والله) ويمد قوله ويغوص به فى قلبه وينشغل بهذا دائماً ما لم يصبه الملل ، فإن

أصابه الملل ترك دفع الوساوس والخيال لأنهما - وإن كانا مشوشين له - موجود من الموجودات الذهنية قائم بالحقيقة في الحق بل هو عين الحق لأن الباطل كذلك بعض من ظهورات الحق كما قال الشيخ أبو مدين قدس الله سره :

(شعر)

لا تنكر الباطل في طوره

فإنه بعض ظهوراته

واعطه منك بمقداره

حتى توفي حق إثباته

وقال الشيخ مؤيد الدين الجندي في تتميمها شعراً

فالحق قد يظهر في صورته

ينكرها الجاهل في ذاته

ولا شك من أن ذوقاً سيحصل بهذه الملاحظة وتقوى نسبة الأعزاء ويجب نفي ذلك الفكر في ذلك الزمان والاتجاه إلى حقيقة الفناء وإسلام النفس إليها وتعقبها ، وما دامت هذه النسبة للغيبة والفناء في ترقٍ فإن الفكر في حقائق الأشياء والتوجه إلى الجزئيات هو عين الكفر (مصراع): (البقاء كفر والفناء دين) ، بل لا يجب كذلك الفكر في أسماء الله وصفاته وإذا استطاع نفاه أيضاً لأن المطلب الروحاني لهذه الطائفة

توجههم إلى الفناء في حدود وادى الحيرة ومقام تجلى أنوار الذات ، وما من شك في أن الفكر في الأسماء والصفات أدنى من هذه المرتبة .

(مثنوى)

لا تكن أصلاً فهذا هو الكمال وحسب

أسرع بالفناء فهذا هو الوصال وحسب

(وأيضًا منها)

امسك يا أخى بأول خيط الدولة

ولا تقض عمرك الغالى فى خسارة

احتفظ دائمًا فى كل مكان ومع كل إنسان وفى كل شأن بعين قلبك مغمضة فى جانب الحبيب

ويجب التدريب على هذه النسبة ؛ بحيث لا تخلو قط ، منها وإذا غفلت لحظة فعليك استئناف التدريب بالطريقة المذكورة ، ولابد من دوام الحضور وتركيز عين قلبك على حقيقتك الجامعة وأنت فى الدار والسوق والبيع والشراء والطعام والشراب وكافة الأحوال وجعل هذه الحقيقة نصب العين واستحضارها ، وعدم الغفلة عنها بالصور الجزئية بل يعد كافة الأشياء قائمة بها ، ويسعى إلى أن يشاهدها فى سائر الموجودات المستحسنة وغير المستحسنة إلى أن يبلغ الحد الذى يرى فيه نفسه فى كل شيء، ويعد كل الأشياء مرآة جماله الكامل بل يرى كل الأشياء أجزاء له.

(مصراع)

كل الجميل والقبيح جزء بالدرويش

ولا يغفل عن مشاهدتها أثناء الكلام بل يوجه إليها عين قلبه ولو كان مشغولاً في الظاهر في أمر آخر كما قيل :

(نظم)

كن عارفًا بداخلك غريبًا بخارجك

فهذا المسلك البديع نادر في العالم

وكلما زاد الصمت قويت تلك النسبة ، ويجب أن يحفظ المتوجه نفسه من الغضب لأن الغضب يخلي الباطن من نور المعنى وإذا وقع - والعياذ بالله - غضب أو حدث قصور ، بحيث يطرأ تكدر قوى وتضعف أو تقل السيطرة على النفس قام فاغتسل فإن زال الغضب وعادت الطمأنينة بالماء البارد الذي يهب صفاء كثيراً فَبِها وإلا اغتسل بالماء الساخن وارتدى رداء طاهراً وصلى ركعتين في مكان خال ويتنفس مراراً بقوة ويخلي نفسه وينشغل بالطريقة المعهودة ، ويتضرع في الظاهر أيضًا إلى حضرته الجامعية ، ويتوجه إليها بالكلية ، ويدرك أن هذه الحقيقة الجامعة هي مظهر مجموع ذات الله سبحانه وصفاته وليس معنى ذلك أن الله حل فيه تعالى الله عن ذلك بل بمنزلة ظهور الصورة في المرآة ؛ إذن فهذا التضرع في حقيقته إلى الله الحق - سبحانه وتعالى - حين يريد الانشغال بمهمة تلا بأتم ما يكون التفرغ هذا الدعاء في حضرته الجامعة (اللهم كن وجهتي في كل وجهة ومقصدي في كل

قصد وغايتي في كل سعي وملجئي وملاذي في كل شدة ووكيلي في كل أمر وتولني تولي محبة وعناية في كل حال) ، وبعد ذكر الحق - سبحانه - ودعائه يشرع في ذاك الأمر المهم متوجهاً وحاضراً مع حضرته سبحانه . وبعض من هذه الطائفة العلية قدست أسرارهم قالوا بالتوجه إلى الصورة الكتابية ورعاية الهيئة الرقمية لكلمة (لا إله إلا الله) أو الاسم المبارك (الله) بدل التوجه إلى الشيخ ، ورعاية صورته سواء كانت مكتوبة في موضع خارج ذواتهم وينظرون إليها بالحواس أو الخيال أو تخيلوها في حوالي صدروهم وقلوبهم لأن المقصود من التوجه إلى بعض الأمور الكونية هو دفع الخواطر المتفرقة وتفريغ القلب من كثرة الصور الكونية حتى تنحمي آثار الكثرة في غلبة التوجه، وينجذب الطالب المتوجه إلى حدود نسبة الغيبة وكيفية الفناء وتزول أيضاً بالكلية صورة ذاك الجزئي المتوجه إليه ، ولا شك من أن ذاك الأمر المتوجه إليه من أي جنس يكون هو المقصود فكيف إذا كان بينه وبين المطلوب نوع من المناسبة المرعية ؟ وكان بعض من أهل الطريق المنسوبون إلى السلطان إبراهيم بن أدهم - قدس الله روحه - في البداية يتوجهون إلى أحد المحسوسات مثل حجر أو طوبة وغيرهما بنحو أن يثبتوا عليه عيونهم الظاهرة ولا يطرفون عيونهم في نظرهم إليه ويتوجهون إليه بجميع قواهم الظاهرية والباطنية حتى تندفع بالكلية خواطرهم وتحدث كيفية نسبة الفناء . وقال بعضهم - قدس الله أسرارهم - إن النوع العالي من التوجه هو أن الطالب المتوجه يجعل ملاحظة حضرة العزة عز شأنه سمت توجهه مجرداً من لباس الحرف والصورة والعربية والفارسية ، ولا يدع أن تزاحمه ملابسات الحوادث

من الجسم والعرض والجوهر وإذا عجز عن هذا قصوراً يجعل بناء على الحديث : (رأيت ربي نورانيا) حضرة العزة على صفة النورية غير المتناهية نصب بصيرته . وقال بعض الكبراء : إن أتم توجهات المتوجه إلى حضرة الحق وأكمل مراتب الحضور مع المطلوب المطلق هو أن يتوجه إلى حضرة الحق بعد تعطيل القوى الجزئية الظاهرة والباطنة من التصرفات المختلفة ، وإفراغ الخاطر من كل صورة علمية واعتقادية بل عن كل ما سوى المطلوب الحق – سبحانه وتعالى – بنحو أن يصير الحق معلوماً يعني كما هو في الواقع ، وليس مقيداً بتنزيه وتشبيه مسموع أو مظنون بل التوجه إلى المجمل المطلق الهيولاني الصفة القابل لجميع الصور والأمور التي تفيض عليه من حضرة الحق والبراء من نقش الاعتقادات المستحسنة والمستنكرة مع توجه العزيمة والجمعية والإخلاص التام والمواظبة على هذه الحال على الدوام ، أو في أكثر الأوقات دون فترة ولا توزع خاطر ولا تشتت عزيمة مع الجزم بأن كمال الحق تعالى ذاتي ومستوعب لجميع الأوصاف سواء ظهر حسنها أو خفي. ومع الجزم بأن لا شيء عقلي قط ولا فكري ولا وهمي يمكنه الإحاطة بسر الحق تعالى بل هو كما أخبر عن ذاته قائلاً :(كل يوم هو في شأن) ، يظهر إذا أراد في أي صورة من صور العالم الظاهر أو يتنزه إن أحب عن الجميع ، ولا يمكن إضافة أي صورة واسم ورسم إليه أو كانت إذا شاء جميع الأحكام والأسماء والصفات صادقة عليه ومحمولة ، ومع كل هذا فذاته غير منزهة عن كل ما لا يليق بعظمته وجلالته ولا من الصفات التي يضيفها البرهان والعيان إلى ذاته المقدسة، ولو أن أحداً لاحظ الوجود من مبدأ مراتب تجليات حضرة الحق سبحانه

وتعالى حتى منتهاها وثبت هذا المعنى على الدوام نصب بصيرته فإنه لا يرى في الواقع غير وجود مطلق ووجود مقيد، واعتبر حقيقة الوجود واحدة في كلا الوجودين وعد الإطلاق والتقييد من نسبها واعتباراتها، فلا شك من أن هذه الملاحظة سوف تهبه حلاوة عظيمة وذوقًا تامًا . ومن هذا القبيل ملاحظة معنى الاتحاد والاتصال في عرف هذه الطائفة؛ فالاتحاد هو (شهود الحق الواحد المطلق الذى الكل به موجود بالحق فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجوداً به معدومًا بنفسه لا من حيث أن له وجوداً خاصًا اتحد به فإنه محال) ، والاتصال هو (ملاحظة العبد عينه متصلاً بالوجود الأحدى بقطع النظر عن تقييد وجوده بعينه واسقاط إضافته إليه فيرى اتصال مدد الوجود ونفس الرحمن عليه على الدوام بلا انقطاع حتى يبقى موجوداً به).

(وأيضًا منها)

الهاء هي غيبة الهوية يا عالمًا بالحروف

ولأنفاسك أساس على ذال الحرف

فاعلمن هذا الحرف فقد قلت فيه

كلامًا عميقًا في الرجاء واليأس لو راعيته

يقول الشيخ أبو الجناب نجم الدين أحمد الكبرى – قدس الله سره – في رسالته (فواتح الجمال) ذكراً يجرى على نفوس حيوانات أنفاسهم الضرورية لأن حرف الهاء يتردد في الشهيق والزفير ، وهو يشير إلى غيبة هوية الحق سبحانه شاءوا أو أبوا ، ونفس هذا

الحرف موجود فى الاسم المبارك (الله) والألف واللام للتعريف وتشديد اللام للمبالغة في هذا التعريف ؛ إذن فيجب أن يكون الطالب الفطن فى نسبة المعرفة بالحق – سبحانه – على هذا الوجه ؛ وهو أن يخلط وقت تلفظه بهذا الحرف الشريف هوية ذات الحق – سبحانه وتعالى – ويقف فى خروج النفس ودخوله على ألا يقع فى نسبة الحضور مع الله فتور حتى يصل إلى حد أن تكون هذه النسبة دائمة الحضور بقلبه دون تكلف فى الحفاظ عليها ، ولا يستطيع بتكلف أن يبعد هذه النسبة عن قلبه ، ودوام الالتجاء والاتصال بصفة الانكسار إلى جناب الحق – سبحانه – أقوى سبب لدوام هذه النسبة ، يجب أن يطلب دائمًا من الحق – سبحانه – بقاء هذه الصفة فيه بضراعة وحاجة ولو سعى فى الحفاظ على هذه النسبة عمرًا أبديًا له فلن يفيها حقها – وسيظل هذا المثل (غريم لا يقضى دينه) منطبقًا عليه.

(وأيضًا منها)

ما أحسن أن يمتلىء قلبك بالنور من الذكر

وتنقهر نفسك تحت شعاعه

وتبتعد أفكار الكثرة عنك

ويصير الذاكر بكليته ذكرًا والذكر مذكورًا

أعلم أن سر الذكر والترقي في مراتبه هو أن حقيقة المناسبة بين العبد والرب ، والتي احتجبت وغمرت بالأحكام الخلقية والخواص والصفات الإمكانية تغدو حية ، وهذه الحالة لا تحدث بدون قطع التعلقات

الظاهرة والباطنة وبدون تفريغ القلب من كافة الارتباطات التى حصلت بعد الإيجاد بين الإنسان وسائر الأشياء سواء كان يعلم بها أو يجهل ، إذن فعلى الطالب السالك الرجوع عما فيها بمفارقة صورة الكثرة بالتدريج بواسطة الانفراد والانقطاع حتى تنشأ فى الجملة المناسبة بينه وبين الحق تعالى ، وبعد ذلك يتوجه إلى حضرة الحق - سبحانه وتعالى - بملازمة ذكر من الأذكار ، والذكر من وجه كونى ومن وجه آخر ربانى ، لأنه من ناحية اللفظ والنطق كونى ومن ناحية المدلول ربانيّ بل هو الرب ، إذن فذاك برزخ بين الحق والخلق وبسببه يحصل نوع آخر من أنواع المناسبة . وأثر مشايخ الطريقة - قدس الله تعالى أرواحهم - من جملة الأذكار ذكر (لا إله إلا الله) عن الحديث النبوى الوارد فيه (أفضل الذكر لا إله إلا الله) ، وصورة هذا الذكر مركب من النفى والإثبات ويمكن فى الحق طى الطريق إلى حضرة الحق سبحانه بهذه الكلمة . إن حجب السالكين ناتجة عن النسيان ، وحقيقة الحجاب هى انتقاش الصور الكونية فى القلب، وفى هذا الانتقاش نفى الحق وإثبات الغير ، وبحكم المعالجة بالأضداد؛ ففى كلمة التوحيد نفى ما سوى الحق وإثبات الحق سبحانه ، والخلاص من الشرك الخفى لا يتأتى بغير المداومة والملازمة على معنى هذه الكلمة ، إذن فعلى الذاكر وقت جريان هذه الكلمة على لسانه أن يرعى الموافقة بين القلب واللسان ، وفى ناحية النفى يطالع وجود جميع المحدثات بنظر الفناء ، وفى طرف الإثبات يشاهد الوجود القديم جل ذكره بعين البقاء حتى تستقر فى القلب بواسطة تكرار هذه الكلمة صورة التوحيد ، ويصبح الذكر الصفة

اللازمة للقلب ، وفي أوقات فترات الذكر اللساني لا يتسرب فتور وقصور إلى ذكر القلب وتنمحي صورة التوحيد وهي معنى الذكر عن وجه القلب الظاهري ، وتثبت حقيقته في وجه القلب الباطني وتتجوهر حقيقة الذكر في القلب ، وتتحد حقيقة الذكر بجوهر القلب ويفنى الذاكر في الذكر والذكر في المذكور . ومن الكلمات القدسية والأنفاس المتبركة لحضرة الخواجة قدس الله روحه : كل ما رؤي وسمع وعلم هو غير وحجاب ويجب عدّ كلمة (لا) في الحق نفياً ونفي الخواطر وهو الشرط الأعظم للسلوك لا يتيسر بالكمال بدون تصرف العدم في وجود السالك؛ لأن هذا التصرف العدمي أثر ونتيجة للجذبة الإلهية ، والوقوف القلبي من أجل أن يطالع أثر تلك الجذبة ويستقر هذا الأثر في القلب ، ورعاية العدد في الذكر القلبي من أجل جمع الخواطر المتفرقة . وفي الذكر القلبي إذا تجاوز العدد الواحد والعشرين ولم يظهر الأثر دل هذا على عدم جدواه ، وعمل الذكر وأثره هو أن ينتفي وجود البشرية في زمان النفي وفي زمان الإثبات يطالع أثر من آثار تصرفات الجذبة الألوهية ، والوقوف الزماني وهو عمل السالك للطريق هو الوقوف على أحواله وما هي صفته وحالته في كل زمان وهل يوجب الشكر أو الاعتذار . وقيل حبس النفس وقت الذكر سبب ظهور الآثار اللطيفة ويفيد شرح الصدر واطمئنان القلب وتساعد على نفي الخواطر . وتعود حبس النفس أو التنفس سبب وجود الحلاوة العظيمة في الذكر وواسطة كثير من الفوائد الأخرى . ولم يكن حضرة الخواجة – قدس الله تعالى روحه – يرى منع التنفس لازماً في الذكر ومثله رعاية العدد ، لكنه كان يعد رعاية الوقوف القلبي أمراً مهماً ولازماً لأن خلاصة المقصود

من الذكر هي الوقوف القلبي ، ومن العبارات والاصطلاحات السلسلة للخواجات - قدس الله تعالى أرواحهم - (الذكر) ، و (التوبة) ، و (المراقبة) ، و (المشاهدة) ، والذكر هو الذكر اللساني أو القلبي ، والتوبة هي أن الذاكر يقول في كل مرة يذكر فيها بلسانه أو بقلبه الكلمة الطيبة في عقبها بنفس لسانه (رب مقصودي أنت ورضاؤك) ؛ لأن هذه الكلمة توبة تنفي كل خاطر يرد بالخير أو الشر حتى يصير ذكره خالصاً ويفرغ سره عما سوى الله. والمراقبة هي مراقبة الخواطر بحيث يقول في لحظة واحدة مراراً إن خاطره لن يخرج إلى غير الله والمقصود من كل هذه هو (المشاهدة) ، وهي الفناء والذكر الخفي على الحقيقة، والذكر اللساني والذكر القلبي بمنزلة تعلم الأبجدية حتى تحصل ملكة القراءة ، وإذا كان المعلم حاذقاً ورأى في الطالب الصادق استعداداً جاز له أن يجعله قارئاً في الخطوة الأولى وأبلغه مرتبة المشاهدة بلا زحمة تعلم الأبجدية ، لكن أغلب الطلاب إذا تم إرشادهم إلى المشاهدة قبل الذكر اللساني والذكر القلبي فهم بمنزلة من ليس له جناحان وريش ويُكلف بالتحليق والطيران.

(نظم)

نطير بريشنا إلى الفلك

لأن أصل جوهرنا عرشي

وتصير للزهرة الحوادث الطبعية حين تدور حول جيشنا

وتنبت في ذرات الهواء روح من أنفاس عشقنا المربي للروح

وكتب المخدوم قدوة العرفاء الكاملين وأسوة الكبراء العارفين المتوجه إلى الله بالكلية والداعي إليه بالأنوار الجلية.

(نظم)

قطب الكبراء الذي كان مرشداً للحق

والمطلق من قيد كل ما خالف الحق

طوى سائر وادي التفرقة

واستغرق في لجة بحر الجمع

مولانا ومخدومنا سعد الملة والدين الكاشغري قدس الله تعالى سره بالتماس بعض من أجلّة الأصحاب وأعزة الأحباب كلمة يسيرة في بيان كيفية اشتغال هؤلاء الأعزاء بالذكر والتوجه ، وأورد الآن تلك الكلمة بنفس عبارته الشريفة على سبيل التيمن والاسترشاد حتى تتم هذه الرسالة بهذه الكلمات القدسية ، وتختم بتلك الأنفاس المتبركة مسك الختام وهي هذه : (بسم الله الرحمن الرحيم ، مبنى طريقة انشغال هؤلاء الأعزاء هو قولهم : الوعي في النفس والخلوة في الجمع ، ومعنى الوعي في النفس أن في كل نفس يتردد يجب أن يكون الطالب حاضراً في سره لا تتسرب إليه الغفلة ، وطريق الانشغال بها هي أن يقول بالتمام هذه الكلمة الطيبة (لا إله الله محمد رسول الله) ، وكيفية نطقها بأن يلتصق اللسان بالحلق ويحتفظ بالنفس داخل بقدر ما يستطاع ، ويتوجه إلى القلب الصنوبري لأن الذكر يقال من القلب لا من المعدة

ويهتم بهذا التوجه ويلاحظ في عقب كل ذكر هذا المعنى وهو : (رب مقصودي أنت ورضاؤك) ملاحظة تامة والمحافظة على هذا الانشغال في جميع الأحوال فى الذهاب والإياب والطعام والوضوء ، وأمر آخر يزيده البعض : وهو أنهم يعتبرون رأس لام (لا) من رأس السرة ، وكرسي (لا) على الثدى الأيمن ، ورأس ألف (لا) على رأس القلب الصنوبرى، و (إله) متصلة بكرسى (لا) الواقع على الثدى الأيمن ، و (لا إله الله ومحمد رسول الله) متصلة بالقلب ، ويرعون هذه الشكل بهذه الكيفية وينشغلون بالذكر بالطريقة المذكورة وهذه هى طريقة ذكرهم والله أعلم ، وطريقة توجههم هى استحضار قلوبهم بالجناب المقدس تعالى وتقدس مجرداً من لباس الحرف والصوت والعربية والفارسية وبراءً من جميع الجهات وعدم إقصاء قلوبهم عن محلها وهو القلب الصنوبرى لأن المقصود المجرد من الجهات سبحانه موجود فى ذاك الموضع لقوله تعالى فى كلامه المجيد (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)

(مثنوى)

يا من هيأت القوس والسهام

الصيد قريب وأنت رميت بعيداً

يزيد المقصود بعداً كلما زدت بعداً فى رميك

ويكون أكثر هجراناً بمثل هذا الصيد

لكن بسبب الضعف في البصيرة لا يتيسر إدراك هذا المعنى الكامل لكن هذا المعنى يلقى بشعاعه بالتدريج حتى يتراءى له أنه لا يغدو غير هذا المعنى باقيًا في نظر البصيرة ، ومهما أراد التعبير عن نفسه لا يستطيع كأنه إنسان غاص في البحر حتى رقبته ولا ترى عينه غير البحر ويتهيأ له بالتدريج أن الموجودات يراها لكنه كذاك الشبح الضعيف الذي يُرى من مسافة بعيدة ، لا يستطيع أن يشغل باطن ذاك الرائي بالوجه التام ، لكن لو حدث تغير في هذا التوجه المذكور فإنه يحيي هذا المعنى بهذا الاسم المقدس وهو اسم الذات في قلبه ويراقب هذا المعنى كمن وقع نظره على شيء ، ويركز بصره فيه وتشغله الرؤية عن التعقل فيه والله أعلم بالصواب . وأثبت الحضرة المخدوم قدس الله روحه بذيل هذه الكلمة القدسية هذا المثنوى الذي يوافق حالي أنا الحقير ويطابق مقالي:

الوضيع يسرق كلام الدراويش

لكي يقرأ تلك الرقية على سليم الصدر

فإن كان أمر الرجال هو الوضوح والغيرة فإن أمر الوضعاء هو التحايل وعدم الحياء

(رباعية في الخاتمة)

جامي الذي ليس رجل الخانقاة أو الدير

لا يخبر الوقوف ولا يعلم السير

فافتح بالخير رب واختم بالخير

فأنت فاتحته كما أنت خاتمته جميعًا

(لوامع شرح القصيدة الخمرية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) رب أنعمت فزد

سبحانه من جميل ليس لوجهه نقاب إلا النور

ولا لجماله حجاب إلا الظهور

(رباعية)

يا من خفيت من غاية ظهورك

وأنت عين كافة العالم من كثرة وحدتك

أنت أعظم من أن تسعك العبارة

وأنت أقدس من أن تحيطك الإشارة

إلهي بحرمة أولئك الذين خطوا بخطوات الهمة إلي سرادقات عزة وحدتك ، ولم يظهر في سيرهم خطو ولا سير ، وشربوا من كأس وحدة خمر عشقك ومحبتك ، ولم يلح في حفلهم كأس ولا خمر أن تتحفنا من طريق أولئك المنعمين بغبرةٍ على فرق ذلتنا نحن القابعين على التراب ، وإن تبلغنا من محفل أولئك المفلحين أو شاب شربة إلى حلق رغبتنا نحن الفاشلين في الأسباب.

(رباعية)

يا رب هبني من مرام حبك شربة

وامنحني من قدح دولتك قربة

لم تنته رغبتي فيك بغير العجز البواح

فهبني يا غاية الأماني بعض الفلاح

إلهي بعزة أولئك الذين كان لهم قدم صدق وكانوا من أولي العزم في طريق متابعة حبيبك ، ورفعوا راية الكرامة من حضيض الوجود والبقاء إلى أوج الغيبة والفناء أن تجعل قدم همتنا نحن الواهنين في التقدم محتظيةً بالرسوخ على جادة شريعته وسجادة طريقته ، وأن ترفع علم دولتنا نحن السافلين في الاشتهار باقتفاء آثاره واقتباس أنواره.

(رباعية)

رب أدخلني حرم فنائك

على أمري يحسن من فنائك

وفي طريق الفناء ضع رأسي

على قدم أحمد المختار بلا جبر ولا اختيار

صلى الله وسلم على حبيبه محمد وآله مجالي أنوار جماله ومرائي أسرار كماله ، أما بعد، فهذه ورقات عدة في شرح ألفاظ وعبارات

وكشف ونور وإشارات في القصيدة الميمية الخمرية الفارضية قدس الله سر ناظمها ، وهي في وصف راح المحبة أشرف مطلوب انتظمت بألطف أسلوب وشاعت بين أرباب العرفان وأصحاب الذوق والوجدان شيوعًا كاملاً واشتهرت اشتهارًا تامًا .

(رباعية)

من هـذا النظم وهو بحـــر در للمعـــشق

امتــلأت الآفـاق بأصـداء أسطورة العشق

كل بيستـه منه بيت وكل حـرف فـيـه

ظـرف ممتلـيء بـراح حـــانـة العــــشـق

وبما أن الشروع في هذا المقصود كان متعذرًا بدون التعرض إلى تعريف وتقسيم للمحبة وبيان أهلها وفروعها فقد ذكرنا طرفًا من كلمات هذه الطائفة المتعلقة بهذه الأمور وسطرنا وصدرنا كل فقرة مستقلة من تلك الكلمات الجامعة بكلمة (لامعة) تنبيهًا على أنها من لوامع أنوار الكشف والشهود على قلوب أرباب الذوق والوجود ، ومن الله التوفيق للسداد ومنه المبدأ وإليه المعاد .

(رباعية)

يا رب أبلغ قلبي بشـــرى إكـــرامك

واوصل كـــفي نقـــدًا من كنز إنعـــامك

أسست في ساحة أملي هذا القصر للمراد

فأبلغه الإتمام

(لامعة) : حضرة ذي الجلال والإفضال كان في أزل الآزال حيث كان الله ولم يكن معه شيء

(فرد)

حين لم يكن لوح بعد ولا قلم

وكان أعيان الأشياء في كتم العدم

كان يعرف نفسه بنفسه ويرى جمال ذاتيته وكمالها بذاته ، وكان يعلم بنفس هذا العلم ، ويرى بنفس هذه الرؤية سائر تنوعات الشئون والصفات التي اندرجت واندمجت في غيب هوية الذات بلا شائبة افتقار إلى ظهور الغير والغيرية ، وكان صوت استغناء (إن الله لغني عن العالمين) يرن في آذان القابعين في بلاد ظلمة العدم المظلمة ويقول :

(رباعية)

أنا الذي في ملك البقاء منفرد بالاستغناء

لا يسألني غيري أو يعاركني

أنا العاشق وأنا المعشوق وأنا العشق

لم يلحقني من الأغيار غبرة

لكنه كان يشاهد في ضمن ذاك الكمال الذاتي الكمال الأسمائي الآخر الذي كان موقوفًا على اعتبار الغير والسوى ولو بنسبة واعتبار ما والمسمى في متعارف هذه الطائفة (بكمال الجلاء والاستجلاء) وكمال الجلاء يعني ظهوره في المراتب الكونية والمجالي الخلقية بحسب تلك الشئون والاعتبارات متمايزة الأحكام متخالفة الآثار روحاً ومثالاً وحسًا ، وكمال الاستجلاء يعني شهوده لذاته في نفس هذه المراتب بحيث كان يرى ذاته في ذاته بذاته في مقام جمع الأحدية كما يرى ذاته بغير ذاته أو بذاته في غير ذاته أو بغير ذاته في الغير في مراتب التفصيل والكثرة .

(رباعية)

عشقك أظهر وجه الطيب والشرير .. وخلب صورة القبول والرد

وهو في تجل يريد أن يرى ذاته في كل الشئون و (كل يوم هو في شأن)

(لامعة) : ثم انبعثت بعد هذا الشعور حركة وميل وطلب إلى الكمال الاسمائي لتحققه وظهوره . وهذا الميل والطلب والإرادة منبع كل عشق وخميرة كل محبة وكل عشق ومحبة ومودة وميل هي صور تعينات ومراتب تقيدات له كما أن كل حسن وجمال وفضل وكمال فرع كماله تعالى ونور جماله تعالى كبرياؤه وتعد ست أسماؤه .

(رباعية)

يا من أتى على قدك الحسن بلا نقص وزيادة .. وانضبط على قامتنا لباس العشق منك

كما أن جمال الجميع عكس وجهك .. فعشق الجميع انبعث منك من اليوم الأول

(رباعية)

تتجلى بشكل الحسان .. وتنظر اليهن بعيون العاشقين

فمنك تجلي الحسن ومنك جذبة العشق .. وحيُك بريءٌ من غبار الغير

وهذه المحبة في مقام الأحدية كسائر صفات عين الذات متفردة وكالذات المتفردة في صفتها بلا صفة وأمارتها بلا أمارة عجزت دلالة العلم والعقل عن التعبير عن بيان ماهيتها وعدم الذوق والمعرفة إمكان الإشارة إلى وحدان حقيقتها وخلت ساحة قدس جلالها من غبار سياحة الوهم والحواس وتعالت شرفة أجرح كمالها عن أحبولة إحاطة الفكر والقياس .

(رباعية)

كان العشق حرفتنا من بداية الأزل : فلا كان أسد غير العشق في عريننا

وما أكثر الرجال الذين حاروا في فكر عشقنا .. وحاشاهم أن يصلوا حوالى فكرنا

لكن في مرتبة الواحدية وهي مقام التحايز بين الصفات ومحل التغاير بين الصفات والذات فهي تميز بين الذات وسائر الصفات وسبيل معرفتها على أرباب العلم والبصيرة مفتوح . لكنها سر خفي وأمر ذوقي ووجداني لا يُعْرف مالم يُذَق وإذا عرف ما استطاعوا بيانه فالإعراب عنه لغير واجده ستر والإظهار لغير ذائقة إخفاء .

(رباعية)

كل من شم رائحة من خمر العشق .. جَرّ رحله من رَبْع العقل إلى الحانة

ومن لم يذق منها مذاقاً : ما وصل فهمه قط إلى سرها

(رباعية)

قلت لشيخ المجوس البارحة من كثرة حيرتي : اكشف لي رمزاً من رموز الخمر

فقال إنها حقيقة وجدانية

لن تعلمها يا عزيزي ما لم تذقها

(لامعة) : ومع أن المحبة شربة لا تعلم ما لم تذق ومحبة لا يمكن إدراكها ما لم تجرب فإن جماعة مأنوس طبيعتهم ومألوف جبلتهم تعريف الماهيات وتوضيح المخفيات نظمت جوهر التحقيق بألماس التفكر ، وقالوا في كشف حقيقتها وبيان أقسامها : إن المحبة ميل الجميل الحقيقي عز

شأنه لجماله جمعًا وتفصيلاً ، وهذا الميل إما أنه من مقام الجمع إلى الجمع وهو شهود جمال الذات في مرآة الذات بلا توسط الكائنات

(رباعية)

المعشوق الذي لم يعرف أحد سر جماله

رفع في ملك الأزل لواء الحسن

لم يكن بعد طاس الفلك ولا زهر الشمس

بل كان نفسه يلاعب نفسه بنَرْدِ المحبة

وإما أنه من مقام الجمع إلى التفصيل بحيث إن هذه الذات الأحدية تشاهد لمعات جمالها في مظاهر لا حد لها ولا حصر وتطالع فيها صفات كمالها .

(رباعية)

الحبيب الذي يتنفس أنفاس العشق مع كل إنسان

لا يصل جنون إنسان إلى ذيله

فهو مرآة الوجود وذرات الوجود

تعشق صورته وكفى

وإما من التفصيل إلى التفصيل بحيث يرى أكثر الأفراد الإنسانية عكس الجمال المطلق في مرايا تفاصيل الآثار ويعدون الجمال المقيد الذاتي هو المقصود الكلي ويرضون بلذة الوصال ويألمون بمحنة الفراق :

(رباعية)

يا من حـــــسنك ســــتـــر المجـــالى

وأوجـد مـئـات العـاشـقين أو المعــشـوقين

علـى ريحك اســـتلبت ليلى قـلـب المجنون

ومن شـــوقـك تألم (وامق) بـألم (عــذرا)

وإما من التفصيل إلى الجمع بحيث أن بعضاً من الخواص أخرجوا رحل الفكرة من معمل الأفعال والآثار وخرقوا الحجب والأستار التي للشئون والصفات وهي مبادىء الأفــعال والآثـــار ، ولم يعد غير ذات المتعالي الصفات الرفيع الدرجات متعلق هممهم وقبلة توجهاتهم .

(رباعية)

أنـا الذى بـلا بديـل فـى ملـك العـــشـق

في مـــدينة الوفـــاء ملثم بـالقـــدســيــة

وتطـهـــــر من الـلوث علـمى وعـــملى

واتجـــــهـت الأنظـار إلى قـــبـلة أزلـى

(رباعية)

خـــــارج عن حــــدود الـكائـنات قـلبـى

وأعلـى من إحـــاطـة الجـــهـــات قلبى

فارغ من تقابل الصفات قلبي

ومرآة تجليات الذات قلبي

(لامعة) : بما أن ذا الجمال والجلال بحكم (إن الله جميل يحب الجمال) مجثه الجمال والكمال صفته الذاتية والآدمي بموجب (خلق الله تعالى آدم على صورته) خلقه الله على صورته وكساه خلعة صفاته، إذن فالبضرورة يكون ميل خاطره إلى الحسن والجمال مسلكه الأصلي وانجذاب باطنه إلى الفضل والكمال سيرته الجبلية فيتعلق قلبه ويرتبط جنانه بما يظهر من جمال إلى نظر شهوده في كل مرتبة من مراتب الوجود.

(رباعية)

أتعلق بكل جميل طلعة في هوسٍ

وأتشبث برأس كل مسكي الضفيرة

والخلاصة كل من أجد فيه لونًا

رائحة من حسنك أتعلق به في الحال

ولا شك من أن تفوت درجات المحبين يمكن أن يكون على قدر تفاوت طبقات المحبوبين ، فكلما زاد أساس حسن المحبوب وبهجته علوًا علت همة المحب الطالب، وأعلى درجات ذاك الحب هي محبة الذات التي تحلق في باطن المحب الطالب ميلاً وتعلقًا وانجذابًا وتعشقًا إلى المحبوب الحق والمطلوب المطلق فتستلبه من ذاته بحيث لا يعود له

وسعة وقدرة لدفعـها ورفعها فلا يستطيع تعيين سبب ولا يود تمييز طلب فلا يدرى كيف وسبب وجوده انجذاب في ذاته ، ولا يعلم من أين حدث له وإلام ينتهي به.

(رباعية)

أيها الولد الجميل القاسى القلب البضّ الصدر

وقع لـى أمـــر عـــجـــيب مـــعك

أنت مـحـبـوبـى لكن لا أدرى بأى سـبب

وأنت مـمعـشـوقى لـكن لا أعلم بـأى علة

وعلامة صحة هذا هى أن الصفات المتقابلة للمحبوب كالوعد ، والوعـيد ، والتـقـريب ، والتـبـعـيد ، والإعـزاز ، والإذلال ، والـهداية ، والإضـلال تستوى على المحب وتجرع مرارة آثار نعوت القهر والجلال يسهل عليه كتذوق حلاوات أحكام صفات اللطف والجمال.

(رباعية)

الحسن فـيك والشكل والشمائل كلها جـميلة

وروحي وعقلى وقلبي بعشقك جميعًا سعداء

ويتـــوى أن تتلطف بـى أو تقـــســـو

فكل الصفـات المتـعـاكسـة فـيك جـميلة

(رباعية)

إن وهبتني النور فأنت عيني الباكية

وإن وسمتني بالكي فأنت صدري المحترق

قد وطأت رأس العالم من أجلك

فعد إليّ فأنت برمتي روحي

(لامعة) : المحبة ثمرة المناسبة بين المتحابين وحكم غلبة ما به الاتحاد على ما به الامتياز ، إذن فلا مناص للمحبة الذاتية من المناسبة الذاتية ، والمناسبة الذاتية بين الحق والعبد يمكن أن تكون على وجهين ؛ (الأول) : أن تضعف عين العبد بسبب المرآتية وحيثية المظهرية عن التجلي الوجودي وينتفي عنه أكثر أحكام الإمكان وخواص وسائط سلسلة الترتيب ، ولا يمكن لتعين ذاك التجلي بسبب تقيد العبد وتعينه أن يؤثر في قدسه الذاتي ، ولا يغير طهارته الأصلية ، وتفاوت درجات المقربين للمحبوب والأقربين للمجذوب يمكن أن يكون باعتبار التفاوت في كمال هذا الوجه أو نقصانه.

(رباعية)

رأيت شيخًا تحت هذا الفلك الأزرق

لم يكن غيره يماثله في وجوده طهرًا

كان مرآة ظهر فيها عكس شمس

الوجود الباقي بصورته الأصلية

والوجه الآخر للمناسبة: ما يكون بحسب حظ العبد من جمعية المرتبة الإلهية أي باعتبار التخلق بالأخلاق الإلهية والتحقق بالأوصاف غير المتناهية ، وهو يتفاوت بحسب تفاوت الجمعية ؛ فكل من زادت سعة دائرة جمعيته اتسعت قدمه في استيفاء هذا الحظ ، ومن جمع بين هذين الوجهين من المناسبة فهو محبوب الحق وله الكمال المطلق وحقيقة مرآة الذات والألوهية معًا وأحكامها ولوازمها جميعًا ، بل إنه برزخ جامع بين مرتبتي الوجوب والإمكان ومرآة واقعة بين عالمي القدم والحدثان ، فهو من ناحية مظهر الأسرار اللاهوتيه ، ومن ناحية أخرى مجمع الأحكام والآثار الناسوتية ، وعلى الدوام لسان مرتبته بهذه المقالة متكلم وفم جمعيته بهذا اللحن قد مترنم وهو :

(رباعية)

نحن على أوج كمال الصبح الصادق

على حل النكات وكشف الدقائق

لا يخرج عن قلبنا ستر الحق والخلق

فنحن مجموعة مجموع الحقائق

(لامعة) : وما يتلو المحبة الذاتية هو محبة الحق سبحانه وتعالى بسبب الأمور التي تختص بحضرته اختصاصًا كليًا وترتبط به ارتباطًا تامًا كالمعرفة والشهود والقرب والوصول إليه ، وهذه النسبة أدنى من المرتبة الأولى ومعلولة لها ؛ فإن للمحب في المرتبة الأولى وقوفًا مع الحق

سبحانه ؛ وفى هذه المرتبة وقوفًا مع حظه منه ؛ وشتان بين الوقوف معه وبين الوقوف مع الحظ منه.

(رباعية)

المعشوق الذى كان عائقًا لى عن الرغائب
قال لى بالأمس إنك لا تليق بعشقى
أجل إن رغبتك منى وهى الوجود وصل
لكنك تعشق رغبتك مني ولا تعشقني

لكن هذه المرتبة رفيعة وعالية بالنسبة للمرتبة تاليتها ، وهى محبة الحق سبحانه بسبب الأمور التى ليس لها الاختصاص والارتباط المذكوران كالفوز بالمرادات العاجلة من المطعومات والمشروبات والملبوسات والمركوبات أو كالظفر بالسعادات الآجلة من الحور والقصور والغلمان والولدان ؛ لأنه إذا كان الفرق كبيراً بين الوقوف مع الحق سبحانه والوقوف مع الحظ منه فكذا الفرق بلا حد بين الوقوف مع الحظ منه والوقوف مع الحظ من آلائه ونعمائه ؛ لأن لصاحب هذه المرتبة الراحات الدنيوية واللذات الأخروية مطلوب بالأصالة ومقصود بالحقيقة وجعل الحق - سبحانه وتعالي - وسيلة للحصول عليها وعده واسطة الوصول إليها ، وأى شىء يزيد هذا فحشًا وهو جعل المطلوب الأصلى تابعًا للمطالب العارضة ، وعدَّ المقصود الحقيقى طفيلاً على المقاصد المجازية .

(رباعية)

أنا المتــــصف بـالوفـــاء والجـمـــال

ولا يســـاوي الكـونان شــــعـــرة مني

ألا تــســتـــحي من أنـك تحــــبني

مع كل حسني وجمالي حبًا تابعًا لحب غيري ؟!

(رباعية)

أنا شـــحنة مـــدينة الجـمـــال العظيم

ومـــقـــدس عن شـــركــــة هذا وذاك

وحـــان العـالـم طفـيليـون على مـائدتي

هيـهـات أن أكـون طفـيليًـا على أحـد

(لامعة): ما عدا المرتبة الأولى وهي المحبة الذاتية فيمكن أن تكون المحبـة من قبيل المحبة الاسمائية والصفاتيـة أو الأفعاليـة والآثارية ، والمحبـة الاسـمائيـة والصـفـاتيـة هـي أن يؤثر ويختـار المحب بعضًـا من أسمـاء المحبوب وصفاته مثل الإفضال والإنعام والإعزاز والإكرام علي أضداده بلا ملاحظة من وصول آثارها إليه ، ومحبة الأفعال والآثار هي ذاك الاختـيـار والإيثـار بناء على وصـول أحكامـها وآثارها إليه ، وهذه المحبة للباقي في صدد الزوال ومعرض التغير والانتقال : فحينما يتجلى المحبوب بصفاته الحميدة وأفعاله المرضـية التي تتعلق بمحبة المحب يقبل

عليه بكل قصده وهمته ويتعلق به ؛ وإذا تجلى بمقابلات هذه الصفات والأفعال التى لا تلائم هواه وتوافق رضاه يعرض عنه بكافة حوله وقوته ويتجنبه قال فى ذلك الله تعالى : (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة).

(رباعية)

حين يوفى الحبيب لك تتعلق به

وحين يستل سيف الجفاء لك تهرب منه

لماذا تهدر كرامة العاشقين

ليتك فارقت رَبْعَ العشق

(لامعة) : أدنى مراتب المحبة الآثارية وما يتعلق بها من جمال الآثار الذى يعبر عنه بالحس ويفسر بالروح المنفوخة فى قالب التناسب ، وفى الحقيقة هى ظهور سر الوحدة فى صورة الكثرة ، وهى إما أن تكون معنوية روحانية كالتناسب وعدالة أخلاق الكاملين المكملين وأوصافهم التى تتعلق بإرادة الطالبين ومحبة المريدين ويفتنون بإرادتهم واختيارهم إرادة هؤلاء واختيارهم ، أو تكون صورية غير روحانية كتناسب الأعضاء والأجزاء لبعض من الصور العنصرية الإنسانية الموصوفة بصفة الحسن والملاحة ، ومشاهدو صفة الجمال فى الصورة العنصرية الإنسانية على أربع طبقات ؛ (الطبقة الأولى) : الأصفياء القلوب الذين اتصفت نفوسهم الطيبة من شوب الشهوة وتبرأت قلوبهم

الطاهرة من لوث الطبيعة فلا يشاهدون في المظاهر الخلقية غير وجـه الحـق ولا يطالعون في المرايا الكونية سوى الجمال المطلق ولا يتقيدون في العشق بالأشكال الجميلة والصور البهيجة ؛ بل إن أي صورة موجودة في كل العالم لها معهم نفس شاكلة تلك الأشكال والصور الجميلة.

(رباعية)

أرى القـمـر فـيـذكـرني بوجـهك
وأشم الورد فـيـذكـرني بنشـرك
وحين تنشر الرياح ضفائر البنفسج
يذكرني هذا المشهد بانتشار شعرك

(رباعية)

تخلص من وجـود الخلق العـارف الحق
وفي بحـر شـهـود الحق مـسـتَغْـرِقْ
وحـجـب الحسن المقـيـد عنه قـد شق
فـحـار في نور الجـمـال المطلق

(الطبقة الثانية) : الأطهار الذين صفت نفوسهم بعناية من لا علة له أو بواسطة المجاهدات والرياضات من أحكام الكثرة وانحراف الطبيعة وظلمتها وكدورتها ، فإذا لم تزل أحكامها بالكلية لم يتيسر إدراكهم المعاني المجردة بلا مظهر يناسب حالهم ونشأتهم ، فلا جرم من أن

تشتعل نار العشق واحتراق الشوق في طبعهم بسبب الحسن الصورى من حيث المظهر الإنسانى الذى هو أتم المظاهر وتحترق بقايا أحكام ما به الامتياز، ويقوى حكم ما به الاتحاد ؛ فينقطع ذاك التعلق والميل الحبى من ذاك المظهر ويتجرد سر الجمال المطلق من صور الحسن المقيد ، وينفتح عليهم باب من أبواب المشاهدة ، ويكتسب العشق المجازى العرضي لون المحبة الأصلية الحقيقية.

(رباعية)

ما أكثر من رأوا جمال الحسان

سقطوا من كي العشق فى احتراق وانصهار

ثم صاروا فى مجلس أهل الذوق محارم الأسرار

وشربوا خمر الحقيقة من الكأس المجازية

(الطبقة الثالثة) : المأسورون الذين هم في صدد عدم الترقي بل في معرض الاحتجاب ، والذى منه استعاذ بعض الكبار بقولهم: (نعوذ بالله من التنكر بعد التعرف ومن الحجاب بعد التجلى) ، ولا يتجاوز تعلق تلك الحركة الحبية بالنسبة إليهم الصورة الظاهرة الحسية الموصوفة بصفة الحسن مع أن الشهود والكشف المقيد حدث إليهم ، وإذا انقطع ذاك التعلق والميل الحبى عن صورة ارتبط بصورة أخرى محلاة بالحسن وظلوا على الدوام في هذا الصراع ، وهذا التعلق والميل

للصورة هو فتح باب الحجز والحرمان والفتنة والخذلان وآفة الدين والدنيا (أعاذنا الله وسائر الصادقين من شر ذلك)

(رباعية)

إنما العاجز من تعلق قلبه بالحسان

ولم ينقصم عن محبة الجميلات

رأى معنى الروح فى الصورة الكلية وخار

إن قدم قلبه حتى القيامة فى الطين

(رباعية)

أيها السيد أقلع عن حسن الأرضيين

واقصد الجمال الأقدس الأعلى

إلى متى ترى القمر فى ماء البئر

إن القمر أنار بأوج الفلك فارفع رأسك إليه

(الطبقة الرابعة) : وهم الملوثون الذين لم تمت فيهم النفس الأمارة ولم تبرد فيهم نار الشهوة ، وسقطوا فى أسفل السافلين فى الطبيعة ، وحطوا رحالهم فى سجن سجين البهيمية ، وانتفى عنهم وصف العشق والمحبة ، واختفى فيهم نعت الرقة واللطافة ، ونسوا بالكلية محبوبهم

الحقيقى ، واحتضنوا محبوبهم المجازى ، وأخلدوا إلى رغبة الطبع وسموا هوى النفس عشقا هيهات ، هيهات.

(رباعية)

أين هؤلاء ومن العشق

أنّى للهندى أن يعرف العربية ؟

إذا تحدث أهل الحقيقة عن العشق

فلماذا عبث هؤلاء القوم المجازى

(رباعية)

القوم الذين هم ناقصون فى العشق

يسمون هوى النفس عشقًا

كيف يليق بهم مقام فى حرم العشق

إن وصف العشق عليهم حرام

(رباعية)

إذا لم يكن العشق هو كمال أولاد آدم

ما ذاع صيت العشق فى العالم

ولو كانت شهوة النفس عشقًا

فإن الحمير والبقر هم أئمة عشاق العالم

(لامعة) : أدنى مراتب المحبة الآثارية محبة الشهوة وهى بالنسبة للمحجوب الذى لم يتخلص بعد من رق النفس وقيد الطبع، ولم يشع على على ساحة ذوقه وإدراكه نور الكشف والمشاهدة فلا يرى غير مراد النفس مقصوداً ولا يدرى مطلوباً ، كل ما يعطيه يعطيه بحكم النفس ، وكل ما يأخذه يأخذه بحكم النفس ، لكنها بالنسبة لأهل الله وهم أرباب الكشف والشهود فهى من قبيل تجليات الاسم العظيم (الظاهر): بل إن صاحب فصوص الحكم - رضى الله عنه - عدها أعظم الشهودات وما ذمه العلماء والعرفاء وعدوه من مراتب البهيمية هو ما ينتسب إلى أهل الحجاب ، ألا ترى أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال : (حبب إلى من دنياكم ثلاث : النساء ، والطيب ، وقرة عينى فى الصلاة) ، مع إنه أكمل الورى وأنزل فى شأنه (ما زاغ البصر وما طغى) ، وشرح هذا الحديث وسر هذه المحبة مذكور فى الحكمة الفردية من الفصوص فمن أراد الاطلاع عليه فليرجع إليه، والمقصود هنا هو التنبيه على أن ما يجرى على أهل الله هو صورة الشهوة والطبيعة لا حقيقتهما حتى لا يقيس المحجوبون حال هذه الطائفة على أنفسهم ويلقوا بأنفسهم فى ورطة الادبار والإنكار.

(رباعية)

لا يحسن أن نقيس الأطهار الكرماء

بالأخساء اللئام فى شهوتهم وشرههم

فرق عظيم بين النار المضيئة للروح

التي رآها الكليم والنار المشتعلة بالدار

(رباعية)

أحكام الطبيعة المختلفة

نحس لإنسان وميمونة لآخر

هل سمعت في الروايات كيف أن النيل

كان ماءً على أتباع موسى ودمًا على أتباع فرعون؟

(لامعة) : أسباب المحبة خمسة ؛ (الأول) : محبة النفس ووجودها وبقائها ، فمعلوم بالضرورة أن كل إنسان يطلب بقاء وجوده وهمته جميعا في جذب النفع ودفع الضرّ لإبقاء وجوده وبما أن حب وجوده الإنسان وبقائه ضروري لديه فمحبة الموجد والمبقي أكثر ضرورة بطريق أولى ، عجب من ذاك الذي يتحاشى الحرارة ويحب ظل الشجرة ولا يحب الشجرة التي قوام الظل بها إلا أن ذاك الشخص لا يعرف نفسه ، ولا شك في أن الجاهل لا يحب الحق سبحانه وتعالى ؛ لأن محبته هي ثمرة معرفته.

(رباعية)

إلى متى تتوحد بهوى نفسك

وتميل عن الحق لبقاء نفسك ؟

يا من تظللت بأسفل الشجرة بظلها

سهل أن تغفل عن وجود الشجرة

(الثانى) : محبة المحسن والمنعم، فلا يخفى أن حضرة الحق سبحانه هو خالق المنعم والمنعم به (بفتح العين فى كل) كما أنه الباعث للمنعم على الإنعام ؛ لأن الحق سبحانه يلقى فى روع المنعم أن سعادته وخيريته فى ايصال المنعم به إلى المنعم عليه ويلجئه إلى ذلك حتى يستطيع إبلاغه إذن فحضرة الحق سبحانه أولى بالمحبة من كل منعم ومحسن ٠

(رباعية)

انظر النعمة مَنْ ينعم بها

واشكر من يستحق الشكر عليها

اعلم أن الإنعام هو من الله لأنه فى ملك الوجود هو العاطى وهو العطية ومنه العطاء

(الثالث) : محبة صاحب الكمال ، فإذا اتصف أحد بصفة من صفات الكمال كالعلم والسخاء والتقوى وغيرها فإن صفة الكمال هذى توجب المحبة، والحضرة التى هى منبع جميع الكمالات، ومنها جميع مكارم الأخلاق ومحامد الأوصاف رشحة من فيض كمالها بالمحبة أولى

(رباعية)

كل معشوق يضرب بقوس الجمال

يفتتن به مئاتٌ من الكبار والصغار

فيا من أنت جميع الحسان بل أجمل من الجميع

إذا لم أتعشقك فخذ حقك مني بنفسك

(الرابع) : محبة الجميل ، فمع أن حقيقة الجمال عارية ليست أكثر من عكس وخيال في الحقيقة ينعكس من خلق حجاب الماء والطين وستار اللحم والجلد ، ومع هذا يتغير بحدوث أقل عارض وهو في ذاته محبوب ، لكن الجميل على الإطلاق الذى جمال جميع الممكنات قبس من أنوار جماله ولا يتقيد ظهوره بمظهر وصورة هو الأولى بالمحبة.

(رباعية)

حـــينًا تكون مـــجلى لعـــارض وردى

حـــينًا تكون ضـــحكًا لـلؤلـؤ مكنون

وأنت بمثل هذا اللطـف والجمـال فى سـتـرك

فكيف تكون لحظة أن ينكشف ســتــرك ؟

(الخامس) : المحبة التي هي نتيجة التعارف الروحاني وهذا التعارف مترتب على المناسبة الروحانية بين المتحابين ، وهذه المناسبة متفرعة على الاشتراك في المزاج بمعنى أنه وقع مزاجها في درجة واحدة من درجات الاعتدال أو أن درجة مزاج أحدهما قريبة إلى درجة مزاج الآخر ؛ إذ إن موجب تفاوت درجات الأرواح في شرفها وعلوها بعد قضاء الله وقدره تفاوت درجات الأمزجة فالأقرب نسبة إلى الاعتدال الحقيقي يستلزم قبول الروح الأشرف والأعلى ، الأبعد بالعكس فى

الخسة ونزول الدرجة ؛ فلا جرم أنه إذا تساوى مزاجان فى الدرجة أو كانت درجة أحدهما قريبة إلى درجة الثانى فإن مرتبة الروح الفائضة على واحد من هذين المزاجين تكون فى الشرف والعلو بعينها مرتبة ذاك الثانى أو قريبة إليها ، ويقع التعارف بينهما بسبب هذا الاتحاد أو القرب في المرتبة ويوجبان الائتلاف والمحبة بينهما؛ إذن فكما أن التفاوت الروحاني المترتب على كافة هذه الأسباب يسبب المحبة فإن حضرة مسبب الأسباب الذى قدر هذه الأسباب بلا أدنى علة واستحقاق أولى - بلا شك - بالمحبة.

(رباعية)

يا من ذاعت بالعشق قصتي وقصتك

وتوحدت روحي وروحك في الحب والوفاء

إنني عبد لذلك الأحد الذى انبعثت

من عهد الأزل منه التوحد بيني وبينك

(لامعة) : للعشق والمحبة مشابهة تامة بالخمر الصورى فلا جرم أن تستعار لهما الألفاظ والعبارات المستخدمة للخمر فى العربية أو الفارسية فيعبر مثلاً عن العشق والمحبة بالراح والمدام والخمر ، ولهذه المشابهة أوجه متعددة ووجوه مختلفة ، منها أن الخمر كما أن لها ميلاً إلى جانب الظهور والإعلان بلا محرك خارجي بسبب قوة جيشانها وشدة غليانها وهى فى مقامها الأصلي ومستقرها الأولى وهو جوف الدنان وقعر الدن كذاك سر المحبة المستور في مضيق صدر العشاق

وسويداء قلب كل مشتاق يقتضي بسبب الغلبة والاستيلاء بلا باعث خارجي الانكشاف ويتقاضى الظهور.

(رباعية)

عشقك الذي كان الملك للمُلك الباطن

لما زادت عظمة ملوكيته

رافق دمع عيني ووافق آهاتي

وخيمَ خارج مخيّم صدري

ومنها أن الخمر كما أن ليس لها - في حد ذاتها - شكل معين وصورة خاصة بل إن أشكالها وصورها هي بحسب أشكال الأوعية والأواني وصورها التي تكون فيها فتبدو في الدنان بصورة تدوير الدنان وفي السطل بصورة تجويف السطل وفي الكأس بشكله الداخلي كذاك معنى المحبة : فهي حقيقة مطلقة وظهورها في أرباب المحبة بحسب أوعية قابلياتهم وأواني استعداداتهم ، فتظهر في بعضهم بصورة المحبة الذاتية ، وفي بعضهم بصورة الأسماء والصفات الإلهية ، وفي بعضهم بصورة محبة الآثار على اختلاف مراتبها وليس سبب هذا التفاوت غير التفاوت بين قابلياتهم واستعداداتهم .

(رباعية)

العشق مع أن كل امرىء به انجذاب إليه

ليس يربطه بأحد صلح أو سلام

وخمر العشق لا لون لها مطلقًا

وإنما تتلون بألوان كاساتها وزجاجاتها

ومنها أنهما يسريان سريانًا عامًا ؛ فكما أن أثر الخمر الصورية يجري في كافة جوارح شاربها وأعضائه كذلك حكم خمر المحبة إذ يسري في جميع مشاعر صاحبه وقواه ؛ فلا تنجو شعره على جسده من ابتلاء المحبة ، ولا ينتفض عرق في بدنه بلا اقتضاء المودة ، سرت كالدم في لحمه وجلده وحلّت كالروح في باطنه وظاهره.

(رباعية)

أسرع الفَصَّاد ليفصد المجنون

لكي يسيل منه الدم بشدة الدم

فبكى المجنون قائلاً أخشى أن

يخرج من قلبي دم تألّمي من ليلى

ومنها أن الخمر والعشق يجعلان شاربها وصاحبه جوادًا وكريمًا ولو كان بخيلاً ولئيمًا ، لكن ثمرة كرم شارب الخمر بذل الدرهم والدينار ومقتضى جود صاحب العشق بذله كل ما في الوجود ، يهب سكران الخمر الدرهم أو الدينار ويمنح سكير العشق حياته بالدنيا والآخرة .

(رباعية)

سكران الخمر إن يحرك يد كرمه

لا يمكنه أن يمنح غير الدرهم والدينار

فـإن ركب سكران همك مـركب الـهـمــة

مــــــسح بكمـــــه فـــــرق الـكونين

ومنها أن كلا من سكران العشق وسكران الخمر جريئان لا يباليان ويخلوان من صفة الجبن والخوف ذوا جرأة في المخاوف واستغناء عن الحياة في المهالك ، لكن شجاعة الثاني بسبب انغلاب العقل القاصر وجرأة الأول بسبب غلبة نور الكشف واليقين ؛ الثاني ينتهي إلى هلاك الدارين ؛ والأول يفضي إلى حياة الخالدين .

(رباعية)

نحن السكارى والمعربدون والرنود والشطار

خطـونا بمـيـــدان الهـــلال في الـعـــشق

لو قـتـلـنا سـيف هم العــشق مـائة مـرة

فـلا خوف لدينا فهـذا سبب العـمر الخالد

ومنها التواضع وضراعة اختمار العشق وسكر المحبة ، يلقي بالمنعمين من منصة الترفع والاعتلاء إلى عتبة التواضع والخضوع ، ويسقط المعززين بالدنيا من أوج العزة والسؤدد إلى حضيض المذلة والخور .

(رباعية)

كم من الجالسين على العروش سكروا هياماً بك

فجلسوا على التراب في سلك المتسولين منك

أخضعوا رءوسهم إلى بابك ليلثموه دومًا

كالكلاب عدوًا بسبب الحاجة وكرعاة الكلاب تسولاً

ومنها إفشاء الأسرار فكل أسرار التوحيد هذه وحقائق الأذواق والمواجيد التى بقيت على صفحة الزمان وصحيفة الليل والنهار هى ثمرة مقالات متجرعي الجام السلسبيلي للمعرفة ، ونتيجة محادثات متعطشى المرام الزنجبيلى للعشق والمحبة .

(رباعية)

عشقك أتى بى إلى هذا العش الذى

لا أول له ولا آخر لكى أجدد العهد القديم

وصب فى حلقى كأسًا من الدنان اللدنى

فسكرت وأجريت لسانى بالحديث

ومنها مسلك الفناء والغيبة والخلاص من قيد الوجود والأنانية ، لكن سكر المحبة هو كمال الشعور والوعى بالمحبوب وسكر الخمر هو غاية الجهل والغفلة عن كل مطلوب فيظهر لهؤلاء المبعدين طريق دركات البعد والنكال ويزيد لأولئك المقربين علو درجات القرب والوصال .

(رباعية)

لاتعب علىَّ يا سيدى لو شربت الخمر

اجتهدت فى العشق والهيام فى المدام

فأنا أجالس الأغيار طالما كنت مفيقًا

وأحتضن الحبيب طالما كنت سكران

ومنها أنهما بقدر زيادة شربهما يزيدان فى طلبهما ، ويقدر عظم اجتراعها يزيد كدهما فى طلبهما فلا يفيق هذا السكران ولا يرضى هذا الحريص ، كتب عظيم إلى آخر :

(رباعية)

حاشا أن أتعقب ثانية الكأس

أو أسير فى طلب الصهباء

فأنا ذاك الكأس المترعة لو زادت قطرة

أَفَضْتُ مثلها من رأسى

فقال يجيبه : شربت الحب كأساً بعد كأس فما نفد الشراب ولا رويت

(رباعية)

أنا بحر عطشان وبلا قعر

فأدرك عَطِشًا عطش أيها الساقى

ظللت عمراً أجرع الخمر الصافية

مثل الماء فلا انتهت الخمر وما ارتويت

ومنها رفع برقع الحـيـاء والحشـمـة وزوال حـجـاب الشـرف والحرمة ، فإذا استولى سكر المحبة فعلى المحب أن يعرض عن الجميع ، ويجلس على بساط الانبساط ، ويطوى ذيل ثوبه عن كل الأضداد .

(رباعية)

ما أسـعـد أن أسكر وأمـضى إلى حـيك

وأتجـرأ وأنظر إلى وجـهك القـمـرى

وألثم مـرة حُـقّـةَ لعْلِك المتناثر

وأحصى مرة حلقات شعرك الجعدى المسكى الرائحة

(لامعة) : يمكن أن تكون النكتة في أداء معاينها بلباس الصور بضعة أشياء منها : (أولاً) : أن يصل الآدمى فى بداية حالة بواسطة إعمال آلات الحس والخيال من المحسوسات إلى المعقولات ويدرك من الجزيئات الكليات ؛ إذن فلا يكون إدراك المعانى إلا ضمن الصور المأنوسة لنفسه والمألوفة لطبعه فإن خالف ذاك يمكن أن يصل إليها قوة فهمه ويطيق إدراكها .

(رباعية)

مع أنك لا ترى الجـفـاء

ولا تضـمـر تمنى إيذاء القلب فى قلبك

لكـن لا تمر على عـــاشـــقك مـــســـفــــراً

فـــإنه لا يطيق إســـفـــارك عن وجـــهك

(والثانى) : منها ما ليس يستفيد منه ويحتظى غير أهل المعنى عند أداء معاينها بلا لباس الصور لكن إذا أديت معانيها بلباس الصور عم نفعها وتم فائدتها .

(رباعية)

الديـن له مـــعنى حين يـخـــتطف القـلب

والكفـــر أيـضـًـا له مـعنى حين يـزيد الحب

لكـنهـــمـــا يُـجليـــان بلبـــاس الصـــورة

حـتى تفـهـمـــه العين الحـاسـة بالصـــورة

وكثيراً ما يحدث أنه لعابد الصورة بسبب أن بعض المعانى تؤدى فى لباس الصورة تراه يميل إلى استماعها فيلقى جمال المعنى من وراء ستار الصورة شعاعاً عليه، ويقوى فهمه ويلطف سره فيهرب من الصورة ويتشبث بالمعنى.

(رباعية)

مـــا أكـــثـر من يتـعـب من أجل شيء تافـه

وفـــجـــأة تعـــثـــر قـــدمـــه بكـنز

ومـا أكـثـر من يشق الجـبل من أجل حـجـر

ونعـــبـــة يتـســـاقط عليــه جـواهر المنجم

(والثالث) : أن جميع الناس ليسوا محارم أسرار الحقيقة وواقفين على أحوال أهل الطريقة، لذا يستعيرون لستر أسرارهم وإخفاء أحوالهم الألفاظ والعبارات المستعملة والمشهورة في محاورات أهل الصورة في المقاصد المجازية حتى يظل جمال هذه المعاني بعيدة عن أعين الغرباء ومستورة عن نظر الأجانب.

(رباعية)

رَجَّل الجـــميـــل ذؤابتـــه فـــعـــقـــدها

ووضع على مـــحـــيـاه ضـــفـــائره العنبـــرية

فـــأخـفي بهـذه الحـيلة طلعـتـه البـهـيـة

حـــتي لا يتـــعـــرف عليـــه كل غـــريب

(والرابع) : أن أذواق أرباب المحبة ومواجيدهم وأسرار معارف أصحاب المعرفة إذا ذكرت بلسان الإشارة يزيد تأثيرها في نفوس مستمعيها عما لو كانت بصريح العبارة ؛ ولهذا فإن كثرة من هذه الطائفة لا يتغير حالهم من الاستماع إلى الآيات القرآنية والكلمات الفرقانية ؛ لكنهم يتغيرونهم ويثورون عند استماع بيت أو أكثر عربي أو فارسي يشتمل على وصف ضفائر الحسان وخالهم وغنج المحبوبين ودلالهم أو على ذكر الخمر والحانة والدن والكأس .

(رباعية)

حين يفـشي هذا الملائكي الطلعـة جمـاله

لا يتـــحـــرك بال العـــاشق من دلاله

لكنــه إن غـــمز خــاضعاً بالقول مع الغنج والدلال

يغــــيــــر عـلى العـــاشـق المسكـين حـــاله

(لامـعة) : بما أنه بناء على مـصـحـحات بيان المعانى فى لباس الصور ومرجحات ما ذكر فى هاتين اللامـعتين قد بين الشيخ الناظم - قدس سره - معنى العشق والمحبة فى كسوة المدام والخمر الصورى ؛ فقد آثر من جملة الألفاظ والعبارات الموضوعة لهـا لفظ (المدامة) للإشعار بالمداومة والمواظبة على شربها ، وأى مداومة يمكن أن تطول عنها وبداية شربها الأزل ونهايته الأبد ؟

(رباعية)

عـجل أيها الساقى بالخمر من هذا العظيم

ولا تفـصلـهـا عنى وأعطهـا لى على الدوام

وبما أن فى لغـة العـرب الخـمـر هى المدام

فـعجل يا قـمـر العـجم بإعطائى هذه المدام

ولما أن كُمَّل هذه الطائفة متحققون بالمحبة الذاتية المتعلقة بتلك الذات ولفظ الذات مؤنث

والمحب الصادق كل ما يقوله يكون مناسباً لمحبوبه ، وكل ما يطلبه يطلبه موافقًا لمطلوبه فلا جرم أنهم استعاروا لفظ المدامة وهي صيغة مؤنث للمحبة الذاتية وليس للمدام.

(رباعية)

إن دأبي وديدني هو التنزه بالحديقة كل يوم

لعل الشقائق والورد يسكناني

حيثما أرى وردة في لونه وأريحه

أشم هذه الوردة بالحديقة وأقطف تلك الأخرى

قال الشيخ الإمام العالم العامل والسيار العارف الفاضل شرف الدين أبو حفص عمر بن على السعدى المعروف بابن الفارض المصرى قدس الله تعالى سره وأعلى فى الملأ الأعلى ذكره :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة

سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

الشرب بالحركات الثلاث هو شرب الماء وغيرها من الباب الثالث من الأبواب الستة للثلاثي المجرد.

والمدامة هى الخمر باعتبار أن شاربها يمكن أن يستديم عليها ، والسكر بالفتحيتين هو السكر من الباب الثالث ، والكرم هى شجرة العنب ، وجملة سكرنا بها صفة المدامة ، والجار والمجرور من قبل أن

يخلق متعلق بـ (شربنا) ، يقول شربنا وجرعنا مع بعضنا بسعادة على ذكرى حضرة الحبيب الذى تتجه إليه محبة الجميع شراباً سكرنا به ، بل برائحة منا غبنا ، وهذا قبل خلق الكرم وهو شجر العنب ومادة الشراب المشهورة الفائضة بالغليان والجيشان.

(رباعية)

في اليوم الذى لم تدر فيه الأفلاك والأزمان

ولم يختلط الماء والنار والتراب

كنت سكيراً على ذكرك معاقراً للخمر

برغم أنه لم تظهر الخمر بعد ولا الكرم

(رباعية)

نحن الجارعون من كأس عشقك

فانثر على جارعيك جرعتك

جرعنا على ذكرك ذاك الصباح صبوحًا

مع أنه لم يكن قد ظهر الكرم ولا زراعته

(لامعة) : للحق سبحانه تجليان : (الأول) : علمى غيبى وهو ظهور وجود الحق سبحانه على ذاته فى حضرة العلم بصور الأعيان وقابلياتهم واستعدادتهم ، وفى هذا التجلى لا تتصف الأعيان بالوجود العينى، وكمالات الأعيان كالعلم والمعرفة والعشق والمحبة وأمثالها مختفية

فيها وباطنة ، و (الثانى) : التجلى الوجودى الشهادى وهو ظهور وجود الحق سبحانه بحسب استعدادت الأعيان وقابلياتها روحاً ومثالاً وحساً وهذا التجلى الثانى مترتب على التجلى الأول ومظهر للكمالات المندرجة بالتجلى الأول فى استعداداتها وقابلياتها .

(رباعية)

وهبـــتنا مـن البـــداية الطلـب والحـــاجـــة

ثم أعـــددت الـكرم علـى حـــسب الطـلب

ومـــا هذه كـلهـــا حـــتى تـفـشى الكـنز

الخـــفى على الخلق من مـكنز الأســـرار ؟

إذن يمكن أن يكون المراد بالمدامـة هـو المحبـة الذاتيـة ، وبشـرب المدامة قبول الاستعداد لتلك المحبة فى مرتبة الأعيان الثابتة وبذكر الحبيب تجليه العلمى الغيبى فى حضرة العلم بصور الأعيان والقابليات؛ وحينئذ تكون إضافة الذكر إلى الحبيب من قبيل إضافة المصدر إلى فاعله ، والمراد بالسكر الاستعداد للسكر فى نفس تلك المرتبة مع حقيقة السكر فى المراتب التالية الأدنى منها ، وبالكرم الكثرة الوجودية العينية أى صرنا قابلين ومستعدين لدى التجلى العلمى الغيبى للحق سبحانه بصورة أعياننا الثابتة فى حضرة العلم لشراب صفة المحبة الذاتية التى كانت سبب استعداد سكرنا فى نفس تلك المرتبة مع موجب حقيقة السكر فى المراتب الأخرى ، وكان هذا القبول والاستعداد قبل ظهور الكثرة الوجودية العينية .

(رباعية)

ما أسعد ألا تكون الروح رأت خارج عالم السر والعلن راحة الروح ولا ضنى الجسد

كنت قد جعلت من زاوية كتم العدم وطناً لى وكان عشقك وعشقى لك وكنت أنا

ويمكن أن يكون المراد بشرب المدامة التحقق بصفة المحبة في عالم الأرواح وحينئذ تكون إضافة الذكر إلى الحبيب إضافة المصدر إلى مفعوله ، والمراد بالسكر حقيقة السكر أى الحيرة والهيام الذى يكون لأرواح الكمل فى مشاهدة جمال الحق سبحانه وجلاله أى شربنا قبل تعشق الروح بالجسد، وتعلق الحياة بالبدن على ذكرى الحبيب شراب المحبة لأن سكر أرواحنا وحيرتها فى مشاهدة جمالك وجلالك كان بذاك الشراب .

(رباعية)

قبل أن تسقط روح الخضر فى الظلمات

ويجرى فى منبع الروح ماء الحياة

شربنا خمر العشق من حانة الذات

بلا فم وحلق من كأس الأسماء والصفات

(سؤال) لو قال امرؤ إن التفسير الثاني موقوف على وجود الأرواح قبل الأشباح وهذا غير مسلّم به ؛ لأن مذهب الحكماء هو أن

وجود الأرواح بعد حصول المزاج وتسوية الأشباح ، وقد وافقهم الإمام حجة الإسلام رحمه الله وحمل هذا الخبر المشهور وهو : (إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفى عام)، على أن المراد بالأرواح هو الأرواح الملكية وهي مبادىء سلسلة الوجود ، وفي لسان الحكماء يعبر عنها بالعقول والنفوس ، وإن المراد بالأجساد أجساد العالم وهى : العرش ، والكرسى ، والأفلاك ، والأنجم ، والعناصر ، أجبنا (جواب) بأن الشيخ الكامل المحقق الشيخ صدر الدين القونيوى - قدس الله سره - له فى بعض رسائله تحقيق وتفصيل وتقريره أن وجود النفوس الجزئية الإنسانية التى هى لعموم الادميين بعد حصول المزاج وبحسبه ، أما وجود النفوس الكلية الإنسانية التى هى للكمل والخواص فهو قبل حصول المزاج ، وينقل عن شيخه صاحب فصوص الحكم ويقول : أخبرنى شيخى الإمام الأكمل - رضى الله عنه - مشيراً إلى حاله : إن ثمّ من يكون مدبراً لإجراء بدنه قبل اجتماعها بعلم وشعور ، ثم يقول : وذلك لكلية نفسه إذ من يكون نفسه جزئية يستحيل عليه ذلك ؛ لأن النفوس الجزئية لا تتعين إلا بعد المزاج وبحسبه فلا وجود لها قبل ذلك حتى يتأتى لها تدبير الأجزاء بعلم وشعور ، والمراد بالنفوس الكلية - كما يعلم من كلام الشيخ فى نفس الرسالة - هو النفوس الجزئية التى يكون الترقى من المرتبة الجزئية والانسلاخ من الصفات التقييدية العرضية من استعداداتها ، بحيث تعود إلى كلياتها وتتصل بها ، وذلك لأن ذواته الجزئية من حيث جزئيتها محال أن تشاهد المبدأ الأول ؛ إذ من المتفق عليه عند أهل الشهود أنهم لا يشاهدون كليًا ما حتى يصيرون كذلك ثم يزدادون ترقيًا باتصالهم بالكليات على الوجه المذكور

في أمر المعراج طبقة بعد طبقة مستفيدين من كل اتصال استعداداً ووجوداً ونوراً وبصيرة ، هكذا حتى ينتهوا إلى العقل الأول فيستفيدون من الاتصال به بما يستعدون به بمشاهدة المبدأ كما هو شأن العقل الأول.

(سؤال) لو قال امرؤ : إن الدلائل المقامة على وجود الأرواح الجزئية بعد حصول المزاج لا تختص ببعض دون بعض.

(جواب) نقول : إن تلك الدلائل ناقصة ؛ والدليل على نقصها هو أنه يكفي أن مكاشفات أرباب الكشف والشهود التي تقتبس من مشكاة النبوة تشهد بخلافها.

(رباعية)

متى يصل العقل العليل إلى الوحي الجليل؟

برغم أنك تسمي الاثنين دليلاً ؟

إن كانت البعوضة كالفيل صاحبة خرطوم

فهيهات أن تكون البعوضة في قوة الفيل

(لامعة): كل جزء من أجزاء العالم هو مظهر لاسم من الأسماء الإلهية، ومجموع العالم مظهر جميع المظاهر وليس جزء من أجزاء العالم ليس له في الإنسان الكامل مجلى ومظهر ، لكن على سبيل الجمع

والإجمال فكان العالم كتاب مفصل مبوب والإنسان الكامل هو انتخابه أو فهرست فصوله وأبوابه.

(رباعية)

إن الله الذي خطّ قلم إحسانه

أبواب كتاب العالم وأركانه

رقم على لوح الوجود فهرسًا

في آخر صنعه وسماه الإنسان

إذن فيمكن أن يكون إيراده شربنا وسكرنا بضمير جمع المتكلم إشارة إلى الجمع المذكور بلا حساب للمشاركين في هذا الشرب والسكر، ويمكن أن يكون إشارة - أيضًا - للمشاركة لأن أعيان كمال الأفراد والأقطاب وأرواحهم مشاركون ومساهمون في الشرب والسكر لهذا الشراب مع الشيخ الناظم

(رباعية)

لست أنا الوحيد المستهام بالخمر في عشقك

فمن الذي قلت له بنفسك أن يتخلص من هذه الخمر؟

يوم أن تناولت بيدي هذه الخمر

كان معي المشاركون شاربو خمر (ألست).

(وقال قدس سره)

لهــا البــدر كــأس وهـي شــمس يديرها

هـلال وكم يبــــدو إذا مــــزجت نجم

الكأس لا تسمى كأساً إلا وفيها الشراب ، والشمس تطلق على الجرم وعلى الضوء ، والبدو هو الظهور والمزج خلط الاثنين من الباب الأول ، والواو فى (وهي شـمس) يمكن أن تكون للعطف أو للحـال ، ومميز (كم) خبر محذوف (أى كم مرة يبدو نجم) شبه كأس المدام فى استدارته واشتماله على أمر صافٍ كثير الفيضان ببدر التمام ، وشبه المدامة في الصفاء والنورية والفيضان بضوء الشمس ، وشبه أصابع الساقى حين أخذه الكأس فى الدقة والاستقواس بالهلال والأشكال الحبابية فى الاستدارة والنورانية وصغر الحجم بالنجم. يقول : لهذه الخمر على الدوام البدر كأس وهي في نفس الوقت شمس في فيضانها ولمعانها تديرها أصابع الساقي التى تشبه الهلال ، وما أكثر النجوم اللامعة فى أشكال الحباب وقت مزجها بالماء .

(رباعية)

الكأس بدر التمام والخمر الشمس المنيرة

والهــــلال يدير تلك الشـــمس المنيــرة

وتظهــــر مـــائة نجم لامــــعــــة

حين تتلطف نار الخـــــمــــر بالماء

(لامعة) : الحقيقة المحمدية – صلى الله عليه وسلم – وهو صورة معلومية الذات مع التعين الأول وصورة وجوده هو القلم الأعلى محاذاة تامة ومقابلة كاملة بالنسبة لشمس ذات الأحدية ، التي لا يتصور أعلى منها مرتبة ، ولا يحتاج إلى أي واسطة في استفاضة نور الوجود والكمالات التابعة له بل يحتاج إليه سائر الحقائق والأعيان المظلمة بظلمات الإمكان في الاستفاضة من النور المذكور ؛ إذن فنسبته في الكمال محاذاته ومساواته للذات الأحدية ، وتوسطه بين تلك الذات والحقائق اللإمكانية في إفاضة الوجود وتوابعة بعينه مثل النسبة المقابلة للبدر مع الشمس وتوسطه بين الشمس وسكان الليل الظلماني في إفاضة النور ولوازمه ؛ إذن بناء على هذا فيمكن استعارة لفظ البدر الموضوع بإزاء القمر التام لهذه الحقيقة.

(رباعية)

يا روحي وقلبي بأي اسم أناديك في النهاية

أنت الروح كما أنت القلب فبأي منهما أناديك؟

بما أن ليل جميع العالم اقتبس منك النور

فأنا معذور لو ناديتك ببدر التمام

وبعد التعبير عن هذه الحقيقة بالبدر وعن المحبة بالمدامة ، فبما أن المتعطشين في بادية الضلال والتيه يمكنهم بعون هداية الرسول الوصول إلى شرب الراح السلسبيلي للمحبة الإلهية وتجرع الشراب الزنجبيلي للمودة والمعرفة ، فيمكن أن يكون له كأس تلك المدامة والتعبير به عن جام ذاك المدام.

(رباعية)

دوران القمر من وجهك أيها البدر التمام

كأس أشرب منه خمر العشق على الدوام

ومن فرط سكرى من هذا الخمر والجسام

لا أدرى ما هى الخمر وما هو الجام

ولما أنه لا يمكن التعبير عن المتصدى لإدارة هذه الكأس بغير أسماء الألوهية وأوصاف الربوبية التي عبر عنها بالأصابع فى الحديث الصحيح (قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن) ؛ فيمكن أن يكون الهلال الذى يشير إلى أصابع الساقى إشارة إلى هذه الأسماء والأوصاف وإسناد إدارة الكأس إليها .

(رباعية)

هذا المحفل أى محفل وأرباب الكمال

فيه يجرعون مدام المحبة من جام الجمال

انظر إلى القدح الفياض على كف الساقى

إنها بدر يديرها بضعة من الأهلة

(لامعة): الواصلون والكاملون على قسمين : جماعة هم مقربو حضرة الجلال وبعد وصولهم درجة الكمال لا يحال إليهم تكميل الآخرين تجرعوا من شراب العشق والمحبة ما أفناهم عن ذواتهم فغرقوا فى بحر

الجمع وانخلعوا من ربقة العقل والعلم وزالت عنهم أحكام الشريعة وآداب الطريقة : هم سكان قباب العزة وقُطّان ديار الحيرة لم يعد بهم وعي بوجودهم فأنّىَ لهم الانشغال بغيرهم ؟

(رباعية)

سـعـيـد من عبّ في هذه الحـانة

الخـمـر من الدن والدنان لا من الكأس

حتى أنه لا يعي هل العالم موجود أو فان

ولو وجـد العالم وفنى مائة مرة

والقسم الثاني : هم الذين إن فنوا عن ذواتهم أعادهم إليها تصرف الجمال الأزلي ومنحهم النجاة من ذاك الاستغراق في عين الجمع ولجة الفناء إلى ساحل التفرقة وميدان البقاء ، فعادوا إلى أحكام الشريعة وآداب الطريقة ومازجوا الشراب الزنجبيلي للجذبة والمحبة بالزلال السلسبيلي للعلم والمعرفة فنشأ عن امتزاج هذا الماء بذاك الخمر كثير من حباب نجوم آثار المعارف والأسرار ؛ فصار كل منهم نجم هداية الحائرين في ظلمة بيداء الضلالة والحيرة ، ويمكن أن تكون الإشارة إلى أحوال هذه الطائفة عبارة الناظم قدس سره (وكم يبدو إذا مزجت نجمُ).

(رباعية)

هذه الطائفة مطلقة من قيد الرسوم

فارغة من فكر الأحوال والعلوم

علـى ظاهـرهـم لـوامـع نور الـهــــــدى

للــدين نجــوم للــشــيـــاطين رجـــوم

(وقال قدس الله سره)

ولولا شـــذاها مـــا أهديـت لحـــانهـــا

ولـولا سناها مـــــا تـصـــــورهـا الوهـم

الشذى هى الرائحة الطيبة ، وحان جمع حانة ، والحانة دار بائع الخمر ، والسنا بالقصر ضوء البرق وبالمد الرفعة ، وكل ضمائر الغائب تعود على المدامة ، يقول : إذا لم يفح ريحها الطـيب ونشـرها الزكى ما علمت قطع الطريق الصائب صوب دار بائعها ، وإذا لم يلح لمعان نورها وشعاع ظهورها ما استطعت سلوك طريق تصور حقيقتها بقدم الوهم .

(رباعية)

إذا لم تكن نكـهـة الخـمر مرشـد السكارى

لاسـتـشكل عـليـهم الاهـتـداء إلى الحــانة

وإذا لم تجـــد عين الـعــقل نوراً فــيــهـــا

مـــا اسـتـطاع أحــد إدراك حـقـيـقــتـهـــا

(لامعة) : وكما أن جمال الآثار المتعلق بالعشق المجازى ظل وفرع لجمال الذات المتعلق بالمحبة الحقيقية ، فكذاك العشق المجازى ظل وفرع للمــحبة الحقيــقية ، وبحــكم (المجاز قنطرة الحقيقة) فـهو طريق

حصولها ووسيلة وصولها، وسبب ذلك أن المقبل حين كان له بحسب الفطرة الأصلية قابلية المحبة الذاتية للجميل على الإطلاق عز شأنه ، وبواسطة تراكم الحجب الظلمانية الطبيعة ظلت في حيز الخفاء لكن أخذ حين بغتة شعاع من نور ذاك الجمال يظهر من خلال ستر الماء والطين في صورة جميل موزون الشمائل متناسب الأعضاء متماثل الأجزاء رشيق القد صبيح الخد كريم الأخلاق طيب الأعراق.

(رباعية)

كريم الفعل جميل الكلم خفيف الحركة

مسرهم على حروق كل قلب مغموم

كأنه الوردة المبكرة التفتح تنزه ذيلها

عن لوث يد كل جرىء

فلا شك من أن طائر قلب ذاك المقبل يقبل عليه ويطير في فضاء محبته ، ويؤسر لحبته ، ويصطاد من شركه ويعرض عن كل مقصود بل لا يعلم غيره مقصوداً.

(رباعية)

يأتي من المسجد والخانقاة مخموراً

يشرب الخمر ويأتي ثملاً إلى باب الحبيب

ويبرم بكل شيء إلا عشق الحبيب

ويفتديه بألف روح له

وتأخذ نار العشق وشعلة الشوق في الاشتعال في طبعه ، وتبدأ الحجب الكثيفة وهي انتقاش القلب بالصور الكونية في الاحتراق فيكشف غشاوة الغفلة عن بصر بصيرته ويجلى غبار الكثرة عن مرآة حقيقية ، ويغدو بصره حديداً وقلبه بالحقيقة عليمًا ، ويدرك النقص والاختلال للحسن السريع الزوال ، ويوقن بالبقاء والكمال لذي الجلال فيهرب من ذاك ويتشبث بهذا ويستقبل سابقة عنايته ، فيظهر عليه أولاً جمال وحدة الأفعال ، وحين يتمكن من محاضرة الأفعال ينكشف له جمال الصفات ، وحين يرسخ في مكاشفة الصفات يتجلي له جمال الذات ويتحقق بالمحبة الذاتية وتنفتح عليه أبواب المشاهدة ويرى الوجود من أوله إلى آخره حقيقة واحدة حين تجلى ظاهره بجميع شئونها واعتباراتها على باطنه تميزت الحقائق العلمية ، وحين انصبغ بأحكام الحقائق العلمية الباطنية تعينت الأعيان الخارجية ؛ فيجد الله علي كل ما يجرى ويراه في كل ما ينظر ويشاهد في كل لحظة وجهه ويقول :

(رباعية)

أنت كنت في صدرك الباطن وأنا غافل

وكنت في عينك العيان وأنا غافل

وكنت أنا أبحث عنك عمراً في الدنيا

فكنت ذاتك جميع العالم وأنا غافل

فإذا بلغ هذا المقام علم أن العشق المجازى كان بمنزلة رائحة من حانة العشق الحقيقي ، وأن المحبة الآثارية بمثابة شعاع من شمس المحبة الذاتية لكنه ما كان ليصل هذه الحانة لو لم يشم هذه الرائحة ، وما كان ليحتظى بهذه الشمس لو لم يشع عليه هذا الشعاع.

(رباعية)

سعيد من شم رائحة الحانة

وتعقب هذه الرائحة فوصل الحانة

ولاح برق من ربع الحانة

رأى في برقه حرم الحانة

(وقال قدس الله سره)

ولم يبق منها الدهر غير حشاشة

كأن خفاها فى صدور النهى كتم

الحشاشة هى بقية الروح ، والنهى جمع نهية ، والنهية هى العقل باعتبار نهيه عن القبائح ، والكتم والكتمان هو الإخفاء من الباب الأول ، والكتم هنا بمعنى المكتوم ، والضمير فى (منها) راجع إلى المدامة ، وضمير (خفاها) راجع للحشاشة ، وجملة (كان خفاها) صفة الحشاشة ، ويمكن أن يعود كلا الضميرين إلى المدامة ، والجملة الثانية تؤكد مضمون الأولى ، وإضافة الصدور إلى النهى إما بناء على حذف

المضاف أي صدور نوى النهى أو من قبيل الاستعارة المكنية إذ شبه النُهى بأصحاب الصدور وأثبت الصدور وهى من لوازم المشبه به لها يقول ولم يبق مصرّف الزمان ومحول الليل والنهار من تلك الخمر التي هى بمنزلة الحياة للأرواح بمثابة الأبدان لها غير بقية من روح كأن اختفاءها فى صدور أولى النهى قد اختفى واستتر .

(رباعية)

واحــزناه واســفــاه من أن بـربع المجسوسي

لم يجد شاب الخمر من الخمر اسمًا ولا رسمًا ثانية

قـد خـفـيت الخـمـر حتى أنها خـفـت على

جـميع الناس واختـفـى أيضًـا اخـتـفـاؤها

(لامعة) : لحضرة الحق سبحانه أسماء متقابلة ، ولكل منها بحسب ظهور الأحكام والآثار دولة وسلطان ؛ فحين يأتى دور دولتها وسلطنتها تظهر أحكامها وتبطن الأحكام المقابلة لها وبالعكس ، وكل هذا بمقتضى العلم الشامل للحق وحكمته الكاملة سبحانه ، وكل منها فى موقعه فى غاية الكمال ونهاية الجمال.

(رباعية)

حين تجتلى بطلعتك فأنت أبهى من القـمـر

وحين ترجل شعرك فضفـائرك تمتلىء بالثنيات والعقد

وحين تقــــوس كــالقــوس حــاجـبـيك

فما أجملها حقًا ، أن كل مـا فيك بعضه أجمل من الآخر

ومن قبيل الأسماء المتقابلة اسمـا : الظاهر ، والباطن ، والظهور والكثرة كـالبطون والوحدة متلازمـات ؛ لأن الظهور وهو تلبس الحقيقة بصور التـعينات والبطون هو عدم ذلك ، وهذا التلبس هو عين الكثرة وعدم تلك العين هو الوحدة ، وليس من شك في أن في الكثرة غلبة أحكام مـا به الامتياز على مـا به الاتحاد ، وبالعكس في الوحدة ؛ إذن فحينما يتجلى الحق - سبحانه وتعالى - باسم الظاهر فلا مناص من أن أحكام مـا به الامتياز تغلب أحكام ما به الاتحاد ، ولا يخفى أن العلم والمعرفة والمحبة وأمثالها كله من أحكام ما به الاتحاد بين العالم والمعلوم والعارف والمعروف والمحب والمحبوب، إذن فعند غلبة أحكام مـا به الامتياز يكون جميع هذه في مقام الخفاء والبطون وأربابها في حجاب الستر والكمون لأنه بسبب غلبة أحكام ما به الامتياز بينهم وبين سائر الخلق لا يستطيع علم أي واحد ومعرفته التعلق بهم إلا على سبيل الندرة ، وهذا ما أشار إليه الشيخ الناظم - قدس الله سره - في هذا البيت من الخفاء والبطون والستر والكمون ، وهذه الطائفة كانت كثيرة في عهد المذكور كمـا هو مشهور.

(رباعية)

كلـمـــا زدت امــــتناعًـــا عن وصـــــالي

فـاضت دموعي شـوقًـا لشـفـتيك العنابيتين

حين تجـد مـسـتـسـقـيًـا وسط الـبـحـر

لا شك مـن أنه يشـكو عـــدم وجـــود الماء

(قال قدس سره)

فـــإن ذكـــرت في الحـى أصـــبح أهـله

نشـــاوى ولا عـــار عليـــهـم ولا إثم

الحي هو القبيلة ، والنشوة هي السكر ، ونشا ينشو ونشي ينشي من الباب الأول والثالث وهو نشوان وهي نشوى وهم وهن نشاوى ، يقول لو ذكرت هذه المدامة في نواحي الحي وهو قبيلة المقبلين وقبلة الأحياء القلوب فلابد أن ينتشي أهل ذاك الحي ويفنون من غاية النشوة ، بينما لا يركبهم عار من السكر ولا غبار من ذنب شرب الخمر .

(رباعية)

أود خـــمـــراً يسكر بهـــا العـــقل

ويضـــيع من يـدى سلك الاخـتـــيـــار

وإذا بدأ المطـرب في وصـفـهـا إنشـاده

سـكر كـل ذي قـلـب حـي مـن إنشـــاده

(رباعية)

لـيس لـراح العـــشـق قط خـــمـــار

ولـيس إلـيّ منهـــا لحظة اجـــتـنـاب

وبما أنه ليس من شغل شاغل غير شربها

فليس على منها عار واعتياب

سر الحياة في كافة الموجودات سارٍ لأن كافة الأشياء تسبح لحضرة الحق - سبحانه وتعالى - كما قال : (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) ، والتسبيح يمتنع بدون صفة الحياة.

(رباعية)

سواء الفلك أو الأركان أو المعادن أو النبات

يسري في أجزائها جميعًا سر الحياة

تسبح كلها بكل عشي وغداة

لله سبحانه رفيع الدرجات

وتأويل التسبيح بدلالة الأشياء على تنزيه الحق سبحانه وتقديسه، ونفي التسبيح الحقيقي مخالف لكشف الأنبياء والأولياء عليهم السلام وسريان سر الحياة في كل شيء بواسطة سريان الهوية الإلهية منصبغة بصبغة الحياة في الأشياء ، لكن لكل موجود حياة مناسبة له تظهر فيه بحسب قابليته واستعداده وكذا الحال في لوازم الحياة من العلم والإرادة والقدرة وغيرها ، إذن فإذا كان لذاك الموجود مزاج قريب إلى الاعتدال كالإنسان يظهر فيه صفة الحياة مع جميع لوازمها أو أكثرها ، وإذا ناء مزاج ذاك الموجود عن الاعتدال كالمعدن والنبات بطنت فيه صفة الحياة

ولوازمها ؛ إذن فيمكن أن يكون المراد بالحى فى هذا البيت هو العالم الكبير ، وفى التعبير عنه بالحى مع أن القصد هو القبيلة منه إشعار بسريان الحياة فى جميع أجزاء العالم جماداً كان أو حيوانًا وحينئذ يراد بأهل الحى طائفة لهم أهلية شرب شراب المحبة وقابليته قبول أسرار المعرفة لأنه ما عدا هذه الطائفة هم فى حكم العدم بل أقل كثيراً من العدم.

(رباعية)

الثابتون قدمًا على طريق العشق

أعلام فى علو الهامة فى ملك الوفاء

هم مقصود خلاصة الوجود

والباقى جميعهم مع وجودهم عدم

ويمكن أن يكون المراد بالحى قبيلة أرباب المحبة وأسرة أصحاب العشق والمودة لأن من هو من هذه الطائفة حىٌ بحقيقته وجدير بالحياة الحقيقية - لو أنه - مثلاً - فى المشرق وآخر منهم فى المغرب لا تصل الاثنان وتوحدا وجهاً وقلباً .

(رباعية)

عشاقك لو كانوا ملوكًا أو دراويش

فهم على مذهب واحد مستقيمون كالسهم

يُخرِّحون قلبًا من القريب إليهم إذا لم يكن عـاشقًا

ويتـقـربون إلى الغـريب إن كـان عـاشـقًـا

ويمكن أن يكون المراد بالحي مـجمـوعـة وجـود الإنسـان الكامل ، والمراد بأهل الحي الروح والقلب والنفس والقوى الروحانية والجسمانية لكل واحـد من هذه في وجـود الإنسـان الكامل من سمـاع ذكـر شراب المحبة سكرًا آخر وفناء بأتم ما يكون الفناء

(رباعية)

حـيـنـمـا يـذكـر المطرب الـبـديع الألحـان

خـمـر عـشـقك على أنغـام الـربـاب

يسكـر عـقـلي وقلبي وروحي غـاية الـسكر

لسـعـادة سماع ذكـر تلك الخـمر الصافـيـة

(وقال قدس سره)

ومن بين أحـشـاء الدنان تصـاعـدت

ولم يبق منهـا في الحـقـيـقـة إلا اسم

الحشا هو ما بداخل الباطن وجمعه أحشاء ، والدن هو إبريق الخمر وجمعه دنان ، (تصاعدت) أي ارتفعت يقول : تصاعدت هذه المدامة من بين أحشاء الدنان وتباعدت وتصاعدت من المقار السفلى إلى المقامات العلوية لميلها ، ولم يبق منها في الأنام إلا الاسم

(رباعية)

وا ألماه فلم يبق ند يشرب الثمالة

ولم يتبق من الخمر قطرة فى القدح والكأس

مالت الخمر إلى الصعود من قلب القدح

فلم يبق منها فى الحانات غير الاسم

(لامعة) : وجود الكمالات التابعة للوجود كالحياة والعلم والإرادة والقدرة وغيرها التى تظهر فى آخر مراتب الوجود وهو الإنسان هى نفسها الوجود والكمالات لحضرة أحدية الجمع التى تنزلت من أوج درجات الكلية والإطلاق وظهرت فى حضيض الدركات الجزئية والتقييد ، وتبدو فى نظر المحجوبين منسوبة ومضافة إلى المظاهر الجزئية والتقييدية ، لكن بما أن إضافة هذه الأمور إلى المظاهر الجزئية تسقط فى نظر بصيرة أهل المشاهدة بواسطة صدق المجاهدة وتزول نسبتها إلى المراتب التقييدية ثم تعود إلى مرتبة كليتها وإطلاقها ، فيمكن التعبير بالتصاعد عن سقوط الإضافات وزوال النسب والاعتبارات عنها وعودتها إلى مرتبة الكلية والإطلاق ، كما أنه يعبر بالتنزل فى مقابله لأن الصعود والنزول متقابلان ؛ إذن فيمكن أن يكون المراد بالدنان هو النفوس الكاملة لأولياء الله باعتبار إحاطتها واشتمالها على شراب العشق والمحبة ، والمراد بالتصاعد انقطاع الإضافة والنسبة للمحبة عن مراتب التنزلات ورجوعها إلى مقرها الأصلى ومستقرها الأولى : وهو حضرة

أحدية الجمع ؛ لأنه حين يتحقق المحب العارف بمقام الفناء تنقطع نسبة جميع الكمالات فى نظر شهوده عنه ولا تبقي عليه إلا أن المحجوبين يطلقون عليه أسماءها ويقولون : فلان من أرباب المحبة أو من المحبين وأمثال ذلك ، وفى الحقيقة فصفة المحبة هذه قائمة بالحق لا به ٠

(رباعية)

بازى محبتك الملكي من أوج جلالك

نزل عليّ أنا الواله المستهام

فلما تمنعت لسوء الحظ عن مخالبه

طار عائداً إلى عشه وهام

(رباعية)

مع عشقك لم يبق بى هوى ولا هوس

فكيف يبقى مع النار المحرقة حسّ

لا يجد أحد من وجودى أى رسم

ولم يبق لي مستعاراً غير الاسم

ويمكن أن يكون المراد بالدنان أبدان الكاملين بناء على الإحاطة والاشتمال المذكورين ، ويمكن أن يكون المراد هو الأجرام السماوية لمشابهة الاستدارة والإحاطة والمراد بالأحشاء طبقات العناصر ، ومن

(بين الأحشـاء) الكرة الأرضـية مـسـتقـر أفـراد الإنسـان ، وعلى كـلا التقـديرين فالمراد بتصاعـد شراب المحبة هـو أن نفوس الكاملين لأنها صـعدت بحكم (إليه يصـعد الكَلِمُ الطيب) من عش السـفل إلى حظائر القدس صعدت بتبعيته صفات الكمال من العلم والمعرفة والعشق والمحبة أيضًا ، ولم يوجد من هذه الطائفة جماعة أخرى كانت بمنزلة السـابقين فى الكثرة والظهور ، ولم تظهر هذه الكمالات بهذه المثابة من أى إنسـان آخر .

(رباعية)

لا يمكـن أن تجـــد فى عـــرضـــات الـكون

مواسيًا لصـيقًا ولا فى قصة العشق مـحرمًا للأسرار

ولا يمكن أن تجـــد فى حــــانة الفلك شــيئًــا

من هذه الخمر التى أتى عليهـا الأنداد جميعًا ورحلوا

وحينئذ فالمقصود من هذا البيت إظهار التلهف والتأسف على عدم وجود هذه الطائفة ، وعدم ظهور هذه الكمالات وليس نفس مرتبة الولاية وأهلها والله تعالى هو المستعان

(قال قدس سره)

وإن خطـرت يومًـــا على خـــاطر امـــرىء

أقـــــامـت بـه الأفــــــراح وارتحل الهم

خطر الأمر بباله وعلى باله خطراً وخطوراً أي ورد أمر على قلبه من الباب الأول والخاطر ، ما يرد على القلب والمراد به هنا القلب تسميةً للمحل باسم الحال ضمير مجرور عائد على الخاطر وباء جاره بمعنى (فى) ، ويمكن أن يعود على الخطور الذى يفهم من الخطرة والباء للسببية ، يقول إن يخطر يوماً ذكر هذه أى السعادة والراحة إلى خاطر الفتوة الحرة لمسافرتي تلك الساحة لأقامت السعادة والراحة ولارتحل مجاورو ذاك الحرم أى الألم والحزن .

(رباعية)

يزول الهم بسبب راح العشق

ويعمر ما خربته الحادثات

ويخطر العشق إلى خاطر الحزين فيسعد

ويتحرر من هم الزمان وغمه

(لامعة) : تعلق العلم والشعور بالأمور يمكن أن يكون بوجهين : الأول : بحصول ظل المعلومات وصورتها كمثل زيد أو عمرو حين يحدث لكل منهما صورة مرئية فى ذهنك ويتميز كل منهما عن الآخر بصورته الخاصة ، والثاني : بحضور ذوات المعلومات كالعلم : بالجوع ، والشبع ، والشهوة ، والغضب ، والمحبة ، والعداوة بعد اتصاف النفس بها ، وهذا العلم ذوقي ووجداني ، ولا شك فى أن خطور المحبة الذاتية إلى القلب والشعور بها على الوجه الأول يكون بنحو أن تسمع بها من إنسان أو تقرأ عنها في كتاب أو تدركها بفكرك فلا تثمر بهذا سعادة أو توجب

كرامة مُعتداً بها ، بل إن السعادة الأبدية وكرامة الدارين يمكن أن تكون في أن يتجلى الحق سبحانه تجليات ذاتية اختصاصية ، بحكم (إن لربكم في أيام دَهرِكِم نَفْحَات) على صاحب سعادة يتعرض باستعداده الكلي الأصلي وصفائه الروحاني ودوام توجهه وافتقاره بموجب (ألا فتعرضوا لها) إلى نفحات الألطاف الربانية فتفنيته عن ذاته بالكلية وتذيقه مذاق المحبة الذاتية ؛ فيحصل لروحه بواسطتها ابتهاج ويشع النور على قلبه ويتحول قبضه إلى بسط ؛ وينعكس القلب على النفس فيفارقه الحزن والألم ويرافقه الفرح والسرور.

(رباعية)

كان الليل فلمع برق في سحاب الربيع

من فوق منزل الحبيب بسبب بكاء عيني

فأسرج قنديله في دار السعادة والطرب

وأشعل شرارة في بيدر الحزن والألم

وكان مراد الشيخ الناظم قدس سره – ولا شك – من الخطور المعنى الثاني لا الأول ، ومن الله الهداية وعليه المعوّل.

(وقال قدس سره)

ولو نظر الندمان ختم إنائها

لأسكرهم من دونها ذلك الختم

نظر إلى الشيء ونظره نَظَراً أو نَظْراً عاينه من الباب الأول ، ويمكن أن يكون (الندمان) بضم النون جمع نديم كرغفان جمع رغيف أو بفتح النون على صيغة المفرد ؛ وحينئذٍ يعود ضمير الجمع باعتبار المعنى ؛ لأنه جنس سواء كان اللام للجنس أو للاستغراق ويشمل أفراداً كثيرين ، وفي الصحاح نادمني فلان على الشراب فهو نديمي وندماني وجمع النديم ندام وجمع الندمان ندامى ، ويقال المنادمة مقلوبه من المدامنة لأنه يدمن الشراب مع نديمه، ختم على الشيء ختماً وضع الختم على شيء من الباب الثاني والمراد بالختم هنا ما يختم به وليس المعنى المصدرى ، الإناء هو الظرف الذى يوضع فيه الشراب وغيره وجمعه آنية وجمع آنية أوان ، يقول إن ينظر ندمان محفل المحبة ومقيمو عشٍّ العشق والمودة ختم إناء ذاك الخمر وخاتم وعائه فلابد أن يسكروا بلا شرب خمرٍ مجرد رؤية ختم ذاك الإناء.

(رباعية)

يا رب أى خمر هذه التى تمزق دائماً

دراعة تقوى مائة مزقة

إذا نظر إلى ختم دنها شارب الخمر

لسكر من دون خمر ذاك الناظر

ويمكن أن يكون مراد الناظم – قدس سره – بالإناء قلوب الكاملين وأرواح الواصلين التى تحمل فى الحقيقة المحبة الذاتية ، والمراد بختم

الإناء البدن الجسماني العنصري المحفوف بالهيأة البشرية ويستوى فى هذه الصورة البدنية العارف والجاهل والناقص والكامل ؛ إذن فيقيس المحجوبون بناء على هذه المساواة الصورية حالهم عليها ولا يطلعون على أحوالهم الباطنية بل يصرون على نفيها ، أما الطلاب القابلون والمريدون العارفون الذين هم باستعدادهم الوهبي وقابليتهم الكسبية ندمان محفل هذه الطائفة وحرفاء مجلسهم وعلى شرف شرب هذا الشراب فهم الذين يشاهدون آثاره على صفحات وجوههم وفلتات ألسنتهم وتؤثر هذه المشاهدة فى باطنهم فتخلصهم من أنفسهم وتبلغهم مقام الفناء والسكر ، مع أنهم لم يتحققوا بعد بأحوالهم الباطنية ، ولم يتخلقوا بأخلاقهم المعنوية.

(رباعية)

أنت الذى من اسمك يمطر العشق

ومن رسالتك وكتابك يمطر العشق

من يمر بحيك يصبح عاشقًا

كأن من بابك سقفك يمطر العشق

والحق إن هذا المعنى ظاهر وجلي فى خواجات ما وراء النهر النقشبندية وخلفائهم وأصحابهم قدس الله أسرار أسلافهم وطوّل أعمار أخلافهم؛ لأنه بمجرد أن يقع نظر صادق على الجمال المبارك لواحد من هؤلاء الأعزاء إما أن تحدث له سعادة صحبتهم لحظة أو يقع اهتمام من

هؤلاء الأعزاء وإما أن تحدث له سعادة صحبتهم لحظة ، أو يقع اهتمام من هؤلاء الأعزاء به فيدرك في خاطره النسبة الجمعية ويطالع في باطنه المعنى الانجذابي، وهو ما لا يمكن أن يتيسر بفترات من الرياضة والمجاهدة وأساس الارتباط بصحبة أولئك الأعزاء إدراك هذه النسبة؛ فكل من توجد به هذه النسبة يخفون إلى إدراك صحبته ، وكل من لا تدرك فيه هذه النسبة يعرضون عن صحبته ، ومن الأنفاس القدسية لأحد هؤلاء الأعزاء هذه الرباعية التي نوردها هنا على سبيل التيمن والتبرك :

(رباعية)

كل من جالسته ولم يحدث لك جمع قلبي

ولم يفارقك عناء مائك وطينك

فتورع عن مصاحبته واهرب منه

فإذا لم تفعل فارقتك روح الأعزاء

(ألحقنا الله سبحانه بالصالحين ووفقنا بالصالحات)

(وقال قدس سره)

ولو نضحوا منها ثرى قبر ميت

لعادت إليه الروح وانتعش الجسم

النضح رش الماء من الباب الثانى ، الثرى هو التراب الرطب ، الانتعاش الانبعاث، وضمير نضحوا يعود على الندمان فى البيت السابق والألف واللام فى الروح والجسم بدل من المضاف إليه أى لعادت إلى الميت روحه وانتعش جسمه ، يقول : لو رش الندمان رشحةً من تلك المدامة على ثرى قبر ميت فإن الروح التي فارقته تعود إلى جسمه وينتعش الجسم ويهتز بعد موته بسبب عودة الروح إليه.

(رباعية)

يعجز العاشق عن تجنب الخمر

خاصة الخمر التي تثير العشق وتهيجه

وكل من تُلقى جرعة منها على جسده

حلت الروح فيه فانبعث من لحده

(لامعة) : الحياة قسمان : الحياة الحسية الحيوانية المشتركة بين كافة الأحياء من الإنسان وغيره ، والحياة الحقيقية الروحانية المختصة بخواص أفراد الإنسان وهذه على ثلاث درجات ؛ (الأولى): الحياة بالعلم والمعرفة من الموت بالجهل وعدم المعرفة قال الله تعالى (أو من كان ميتا فأحييناه) ، وقال بعضهم أو من كان ميتًا بالجهل فأحييناه بالعلم ؛ لأن القلب يعرف الحق بواسطة العلم ويتحرك في طلبه ، والعلم والحركة من خواص الحياة كما أن الجهل والسكون من خواص الموت .

(رباعية)

العلم هو الحياة الدائمة للعلماء

فافتح عينك وهلم إلى نبع العلم

ذاك النبع الذي شرب منه الخضر

ماء الخلود (وآتيناه من لدنا علمًا)

(الثانية) : حياة القلب بجمع الهمة في التوجه إلى جناب الحق سبحانه ، وقصد سلوك طريقه من موت التفرقة ، وهذا الجمع يؤدي إلى الحياة الحقيقية الأبدية بل هي عين الحياة ، كما أن التفرقة وهي توزع الخاطر بسبب تعلق النفس بالمحبوبات المتنوعة والمشتهيات المختلفة ، وكلها أموات ، هذه التفرقة موت والتعلق بالأموات هو عين الموت.

(رباعية)

كل شيء في الحياة خلا الحي الجليل

ميت فلا تكن بسبب عشق هذا الميت بالذليل

على موتك موت ذلك دليل :

الجنس إلى الجنس كما قيل يميل

(الثالثة) : الحياة بوجود حضرة الحق سبحانه ووجدانه من موت فقده وعدم وجوده ، بمعنى أن تفنى في بقاء الحق سبحانه وتبقى ببقائه وتحيا بحياته ، وتعلم أن كل حياة ليست به موت وكل حرارة ليست منه برود.

(رباعية)

طالما لم تقتلع قلبك من وجودك

ولم تكن عبداً مقيداً بذات الله

ولو فرضنا أنك حياة والحياة بك حية

فأنت ميت ما لم تكن حيًا بالله

إذن فيمكن أن يكون مراد الناظم - قدس سره - هو إذا أبلغ نور من أنوار المحبة الذاتية وأثر من آثارها إلى من إدركه موت الجهل أو موت التفرقة أو موت فقد الله وعدم وجوده فإنه يعود إليه روح العلم أو روح جمع الهمة أو روح الحق سبحانه ووجدانه ، وينتعش جسمه بهذه الروح ويقوم بالشكر على هذه الحياة التي حصلت له بسبب عودة تلك الروح بصرف تلك الحياة فيما وهبه الحق تعالى لها .

(رباعية)

حيثما يشير الحبيب مجلس الوصل

وحتى يهرق في كأسي جرعة السرور

تشبث روحي بيد الأمل في خاصرته

وينبعث جسمي وقد عقد وسطه بحزام خدمته

(وقال قدس سره)

ولو طرحوا في فيء حائط كرمها

ليلاً وقد أشفى لفارقه السقيم

طرحه طرحًا ألقاه من الباب الرابع ، الفيء ما بعد الزوال من الظل ، وحكي أبو عبيدة عن رؤية : كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظل، وما لم تكن عليه الشمس فهو ظل ، والحائط هو الجدار، إعتل أي مرض فهو عليل أشفى المريض على الموت أي أشرف. السقام المرض وكذلك السُقْم وهما نعتان مثل الحُزن والحَزَن ، يقول : ولو أسقطوا في ظل الجدار المحيط بكرم المدامة مريضاً مشرفًا على الهلاك فلابد أن يفارق في ظل ذاك الجدار ضعف السقم والمرض جسد ذاك العليل.

(رباعية)

تسير خمر العشق في السوق رائجة

وبعض الحزن من رؤيتها مشتريًا

وفي ظل حائط الكرم التي منها هذه الخمر

يزول مرض الموت من جسد العليل

المحبة الذاتية هو عُصارة فواكه علومهم وخلاصة ثمرات معارفهم ، والمراد بالحائط هو وجودهم الجسماني وصورتهم الهيولانية باعتبار إحاطتها واشتمالها على الكرم المذكور ، ومنع الأغيار من الوصول إلى

قلوبهم (يعنى) لو أبلغوا إلى حمى حماية العارفين الواصلين وظل عناية الكاملين المكملين - الذى يبرىء كعيسي مائة مريض فى نفس واحدة بل ينفخ الحياة فى ألف ميت فى لحظة واحدة - مريضًا اقترب إلى سقم الجهالة وعلة البطالة ولو بطل فيه الاستعداد الفطرى للحياة بالحياة الطيبة للمحبة الذاتية فلا ريب أن يزول عنه ذاك السقم، ويصل من تلك العلة إلى الشفاء العاجل بيمن صحبته أولئك العظام وبركة ملازمتهم.

(رباعية)

الشيخ الذى كان عمله هو بيع الخمر

اسلك الطريق صوب حرم محفل خلده

فإذا لم تجد فى حرمه مجلسًا

فأوجد لنفسك مكانًا فى ظل جداره

(رباعية)

السالكون لطريق العشق برجسولة

كل منهم فى الإشفاء مسيح ثان

حيثما ينظرون بنظر اللطف والرحمة

يزيلون فى لحظة مرضًا أزمن مائة عام

(وقال قدس سره)

ولو قـربوا من حـانهـا مُـقْـعـداً مـشى

ويـنـطق من ذكــرى مـذاقـتـهـا البـكم

التقريب هو الإدناء ، والمقعد اسم مفعول من الاقعاد هو العاجز عن المشى ، والذكرى هو التذكر من الباب الأول ، والذوق والذواق والمذاق والمذاقة هو التذوق من الباب الأول، والبكم جمع أبكم وهو الذى لاينطق. يقول : إذا قرب إلى حانة تلك الخمر من عجز عن المشى لمشى ، ولو ذكر مذاق تلك الخمرة الصافية أبكم انعقد لسانه لجرى لسانه بالكلام

(رباعية)

أروم تلك الخمر التى إن هوى قربها سالك عاجز

قـــويت قـــدمـــاه عـلى الســيــر

ولـو تخـيــل أبكـم مـــذاقـــهــا

لانفـتح عن لسـانه المعـقـود عــقـدته

يمكن أن يكون مراد الناظم – قدس سره – أنه لو قرب إلى كُلاَّب الشوق وأنشوطة إرادة حرم صحبة الكاملين المكملين الذى هو حانة العشق ومجلس شراب المحبة مُقْعَدٌ لا يستطيع بعون سعيه واجتهاده أن يخرج من سفل الوجود ومضيق عبادة الذات فإنه يلقى بإمداد تربية الشيخ المكمل قوة السلوك، ومكنه السير فيطأ بخطوات الهمة رأس الدنيا

والآخرة ، وبحكم (خطوتين وقد وصلت) يخف إلى منصة الوصال وبلاط الاتصال، وإذا ذكر غافل ذاك الشراب الذي يشرب من كأس المحبة في مجالس القدس ويذاق مذاقه في محافل الأنس، وهذا الغافل في بيان الحقائق أبكم وفي كشف الدقائق غير منطلق اللسان أكثر من العاجزين عن البيان لتكلم ببغاء ناطقته ولا تفتح لسانه بإظهار أسرار العرفان .

(رباعية)

حين يخـــرج ثمل الراح من دار المدام

وينتـشـر نشره الطيب إلى الرياض

يتبـختـر السرو وهو ثابت بمكانه

ويتكلم كذاك السوسن الذي بغير لسان

(وقال قدس سره)

ولو عبقت في الشرق أنفاس طيبها

وفي الغـرب مزكـوم لعـاد له الشم

عبق به الطيب الكسر أي لزق به عبقًا بالتحريك، وعباقية مثل ثمانية، يقول إذا فاح الريح الطيب لتلك الخمر في الشرق وهو مطلع الأنوار ومنشأ الظهور والإظهار بينما كان في الغرب موطن البطون

ومقام الخفاء والكمون مزكوم محروم من إدراك كل مشموم؛ فلا مناص من أن تعود إليه قوة الشم وتتعطر باستنشاق رائحة تلك الراح.

(رباعية)

تستعيد الخمر من العدم الجافل الروح

وتعيد الراح سعادة القلب إلى الغارق بالهم

وإذا أبلغت من الشرق ريحها إلى الغرب

أعادت للمزكومين قوة الشم

ويمكن أن يكون مراد الشيخ الناظم - قدس سره - أنه إذا هَبَّت من مشرق الذات الأحدية وهو مطلع الأقمار والشموس للأرواح والنفوس روائح الإرادة الأزلية وفوائح المحبة المبدئية، وكان في مغرب الأبدان العنصرية للأفراد والأشخاص البشرية وهو محل استتار أنوار تلك الشموس والأقمار مزكوم محروم؛ اختلت فيه مشام ذوقه وإدراكه بواسطة استيلاء برودة هواء النفس وكثافة بحار الطبيعة فإن سرعة سريان تلك الروائح وشدة نفوذ تلك الفوائح تفتح مشام ذوقه وإدراكه وتبلغه استشمام نفحات (إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن)

(رباعية)

رياح السحر التي شقت جيب الياسمين

فتحت نافجة منعمات الروض

إني لأفتدي بروحي هذه الرياح التي حملت

إليّ النفَس التي وجدها النبي من جانب اليمن

(وقال قدس سره)

ولوخضبت من كاسها كف لامس

لما ضل في ليل وفي يده النجم

الخضاب ما يختضب به وقد خضبت الشيء أخضبه خضبًا ، اللمس لمس باليد وقد لمسه يلمسه معًا بالضم والكسر . يقول : ولو خضب من انعكاس أنوار كأس تلك المدامة كف لامسها فلا ضلّ في أي ليلة ظلمانية حالما يكون بيده من عكس تلك الكأس نجم نوراني .

(رباعية)

ويمكن أن يكون مراد الشيخ الناظم - قدس سره - أنه لوتخضبت بانعكاس الأنوار واقتباس الآثار لكأس شراب المحبة الذاتية، وهي الحقيقة المحمدية والروح الأحمدية كما مر تحقيقها في شرح بيت (لها البدر كأس وهي شمس يديرها)، لو تخضبت يد إرادة مقبل وكف كفاية عارف دخل بحسن اجتهاده وقوة استعداده معرض مساس تلك الكأس لما فضلٌ في ظلمات الاحتجاب بالحجب الظلمانية الطبيعية ، طالما كان بيده من تلك الأنوار المنعكسة والآثار المقتبسة نجم من أفق الكرامة طالع ونور هداية (وبالنجم هم يهتدون) منه لامع :

(رباعية)

كل جنس كان للعاشق تليد أو طريف

فهو مرتهن بالراح في حانة العشق

أنى يضل فى الليل المدلهم الطريق

من بكفه من قدح شمع الهداية نور ؟

(وقال قدس سره)

ولو جليت سراً على أكمه غدا

بصيراً ومن راووقها تسمع الصم

جلبت على البناء للمفعول أى أظهرت وكشفت ، راق الشراب يروق روقًا أى صفا وروقته أنا ترويقًا والراووق هو المصفي ، يقول: لو أظهرت المدامة المذكورة ظهوراً مستوراً عن الأغيار على عين من ولد أعمى وتجلت إلى عماه الخالد فلابد أن تنور عينه ويحتظى بسعادة البصر ، ومن صوت تقطر تلك المدامة في تصفيتها تنجو – إذن – الأصم من علة الصمم ويبلغ سعادة السمع.

(رباعية)

حين تكون للخمر صفة التجلى

تلقى مئات من العيون العمياء نوراً

وإذا بلغ صوت تصفيتها

إلى أذن أصم نجا من الصمم

ويمكن أن يكون مراد الشيخ الناظم - قدس الله سره ، - أنه لو أجلي شراب المحبة الذاتية على باطن من ولد أعمى وسره ولم تقع عين شهوده على وجه الحق والجمال المطلق منذ أن ولدته الآباء العلوية والأمهات السفلية فلابد أن ينار بصر بصيرته ويتمكن من شهود الوحدة فى الكثرة ، ولا يرى فى المجالي الخلقية غير وجه الحق ، ولا يشاهد فى المراتب التقييدية سوى الجمال المطلق وتنفتح الأذن الواعية للحديث وهى (كنت له سمعًا فبى يسمع) للأصم الأصلي وغير السامع الجبليّ بصدى صوت حيث إمرار شراب المحبة على راووق الرياضة الشاقة والمجاهدات الصادقة حتى يتصفى من كدر التعلق بما سوى حضرة الذات ، ويهتز من استماع الأسرار الروحانية والأخبار الربانية .

(رباعية)

عشقك القديم جدّد نظرى وسمعى

حتى لا أخلو هنيهة منك

فى كل ما أنظر أرى جمالك

ومن كل من يتحدث أسمع كلامك

(رباعية)

جاء العشق وفتح عليّ باب الدولة

إلا ما انغلق قط هذا الباب على أحد

فـدق لكل سـامـعـة طبل (بى يسـمع)

ومنح كـذلك البـاصـرة لمعـة (بى يبـصـر)

(وقال قدس سره)

ولو أن ركـبـا يممـوا تراب أرضـهـا

وفى الـركـب ملسـوع لما ضـرّه الـسم

يقال مر بنا راكب إذا كان على بعير خاصة ، والركب أصحاب الإبل دون الدواب، يممته برمحى تيميمًا أى قصدته دون سواه ، لسعته الحية عضته من الباب الرابع، ضرّه ضراً ومضرة أضره من الباب الأول، والسم القاتل بالضم والفتح ، يقول لو إن جماعة من راكبى الإبل قصدت لثم أرض توجد بها هذه المدامة وفيهم ملسوع مصاب بالسم فما ضره ذاك السم وما ذاق شربة الهلاك.

(رباعية)

الروضـة التى يُغـرس كرمـها بقـصـد الخمـر

ينبت من غـثـائها وقـشـهـا زهـر الرحـمـة

ولـو مـر ملسـوع عـلى ترابـهـا

لـكـان تـرابـهـا تـريـاقـا

ويمكن أن يكون مـراد الشـيخ الناظم – قـدس سـره – هـو لو أن جمعًا من العظام المبختين وعلى بخاتى الشوق راكبين قصدوا زيارة ترابى الطبع والذى كانت أرض اسـتـعـداده مـغـرس كرم تلك الخمـر

الصافية ، وكان فى سلك نظم تلك الجماعة مريض لسعته حية النفس والهوى وذاق سم أفعي حب الدنيا يتنفس معهم أنفاس المرافقة ويخطو بقدم الموافقة فلا ضره ذاك السم وما آذاه ؛ لأن صحبة هذه الطائفة للسوعى أفعى النفس والهوى ولمسمومى سم محبة الدنيا ترياق أكبر بل أنجع من الترياق الأكبر وأنفع .

(رباعية)

القوم الذين قبلة همتهم هى الحق

لاتشح بوجهك عن خدمتهم ما دام لك وجه

وتمنح من ذاق من الدهر سم الآفات

صحبتهم خاصية الترياق

(وقال قدس سره)

ولو رسم الراقى حروف اسمها على

جبين مصاب جن أبرأه الرسم

رسم على كذا وكذا أى كتب ، رقاه رقية ورقيًا عوذه من الباب الثانى أصابته المصيبة بلغته المصيبة ، جن الرجل جنونا وأجنه الله فهو مجنون ولا يقال مجن به ، يقول لو نقش كاتب تعويذ حروف تلك المدامة الطيبة على جبهة مجنون لصار عاقلاً وحكيماً .

(رباعية)

اشرب من تلك الصهباء التى تسعد الطبع

ويزيد منها الأدراك والعقل آلافا

ولو نقشت على جبهة مجنون

من اسمها حرفًا لصار من العقلاء

ويمكن أن يكون مراد الشيخ الناظم - قدس الله سره - هو أن العارف الواصل والمرشد الكامل والعالم الذى يرقى مجنونى النفس والهوى والقارىء لتعويذة مصروعى محبة الدنيا لو رقم تفاصيل سمات شراب المحبة الذاتية وعلاماتها بقلم النصيحة والإرشاد على جبين باطنهم وهو صحيفة خيال جريدة الأماني والآمال فلابد أن يخلصهم من علة ذاك الصرع وآفة ذاك الجنون ويحفظهم من غوائلهما ويؤمنهم منها .

(رباعية)

القوم الذين ارتبطوا بالعشق والولاء

وأوصدوا دونهم باب التزوير والرياء

جلسوا فى زاوية الصدق والصفاء

وتخلصوا من صراع الحرص والاشتهاء

(وقال قدس سره)

وفوق لواء الجيش لو رقم اسمها

لأسكر من تحت اللواء ذلك الرقم

يقول لو رقم اسم تلك المدامة الهنية المرية وصفتها وعلامتها وسمتها بأعلى علم جيش كثيف فإن ذاك الرقم يسكر الجالسين تحت ظلال هذا العلم وينجيهم من ظلمات مضيق إفاقتهم.

(رباعية)

اطلب تلك الخمر التي إن وضعت

على كف الملك كأساً منها لخلع عن رأسه تاج الجاه

ولو رقمت اسمها فوق لواء الجيش

لسكر جميع الجيش بأسفل ذاك اللواء .

ويمكن أن يكون مراد الشيخ الناظم - قدس سره - بالجيش جماعة المريدين وجمع المستفيدين ، والمراد بلواء الجيش المرشد الكامل المشتهر كالعلم في علو المقام والهداية إلى كل مقصد ومرام بين تلك الطائفة الاشتهار التام ؛ يعني لو رقم الكاتب الحقيقي لـ (وربك الأكرم الذى علم بالقلم) على لوح الجهة الروحانية للمرشد الكامل المتفوقة على جهته الجسمانية سمات شراب المحبة الذاتية وصفاتها بالتجليات الذاتية ، الاختصاصية فلابد أن يُسكر هذا الرقم ويخلص من وحشة الوجود من هم تحت إحاطة ذاك الكامل وظل تربيته ، ومن هم بعلاقة الإرادة ورابطة المناسبة فى استفاضة الكمالات والاستفادة بالمقامات والحالات صادقون مخلصون.

(رباعية)

الحبيب الذى تفنى عن نفسك حين تراه

خير من ذاك الذى تتسفل تحت قدمه

فإذا لم تشرب الخمر كأسه اللَّعْلِيّة مَرّةً

سكرت من دلال عينه السكرى

(وقال قدس سره)

تهـذب أخـلاق الندامى فـيـهـتـدى

بهـا لطريق العـزم من لا لـه عـزم

ويكـرم من لم يعـرف الجـود كـفـه

ويحلـم عن الغـيـظ من لا له حلـم

الخلق هو الهيئة الراسخة فى النفس التى تصير بسهولة مبدأ صدور الأفعال الحسنة أو السيئة ، والتهذيب تبديل الأخلاق السيئة إلى الحسنة ، والعزم هو التوجه بجميع القوى الظاهرية والباطنية إلى جانب المطلوب ، كرم كرمًا أكرم وتكرم وهو كريم وحلم حلمًا تحمل وهو حليم وكلاهما من الباب السادس ، جاد عليه بمالِه جوداً أى تكرم عليه بماله من الباب الأول ، يقول تنقذ تلك المدامة وشربها من ذمائم الصفات وتبلغ محامد الأخلاق ندماء المحفل وقرناء المجلس من أهل القلوب فيهتدى إلى العزم الصادق من عرج قدم مركب إرادته من البداية ووهن عنان عزيمته.

(رباعية)

تحـسن المدامـة طبع الأشـرار

وتطـهـر الخـمـر سـيـرة الأدنيـاء

وترشد إلى العزم الصادق الطلاب فى طلبهم المطلوب المطلق

وكذلك بسبب تلك المدامة وشربها يخطو في دائرة الكرم غير الكريم الذي عجزت يده عن البذل والسخاء وجهلت كفه بحر الجود والعطاء ، وكذلك لنفس ذاك السبب يطأ بقدم الحلم - حين تعصف بالهجوم عاصفة الغضب - بذاك المتهور غير المتصف بالحلم والمعروف بالتحمل

(رباعية)

المُبــجِل الذي يكنز الدراهم لـيله ونهـــاره

يتــعلم من جـودة الخــمـر الجـود والكرم

ومن يطـفيء مــا بالخــمـر نـار غــضــبــه

لاتـزيد فـــــيــــــه نائـرة الظلـم والغبن

(لامعة): أعلم أن تهذيب الأخلاق وتحسينها إما أن يكون بحسن العادة على نحو أن تنتقش النفس بنقوش آثار الخير بواسطة حسن تربية الأبرار وملازمة صحبة الأخيار وترتسم فيها وترسخ هيئة الأخلاق الحسنة بواسطة تكرار المشاهدة ، وتستأصل منها عروق الصفات الذميمة والأخلاق السيئة ، وإما بنور العقل الذي يميز بين الخير والشر ويهتدي إلى حسن الأخلاق ، وتبدو إرادتها في قلبه وترتسم بتكرار تصورها وممارسة العمل بموجبها هيئات عدة مرضية في النفس ، وإما بنور الإيمان المصدق بسبب الإيمان بالآخرة في ترتيب الثواب على الأخلاق الحسنة ، ووجوب العقاب على الأخلاق السيئة ، ويحرص على الخير وينزجر عن الشر فتحصل في النفس بواسطة المواظبة على

اكتساب الخير واجتناب الشر الملكات الحميدة وتزول الصفات الذميمة ، وإما بنور التوحيد حين يصير قلب السالك بعد أن يفنيه عن نفسه تجلي الذات ويبقيه بنفسه عرش الذات وتغدو نفسه مظهر الصفات وتجري من بحر الذات جداول الصفات والنعوت في مجاري صفاته ويتحقق له التخلق بالأخلاق الإلهية ، وليس أعلى من هذا مرتبة وكل من وصل هذا المقام لقي منزلة ما بعدها منزلة ، وكمال هذه المنزلة لرسول (الله صلى الله عليه وسلم) الذي خوطب بخطاب (وإنك لعلى خلق عظيم)، ومن بعده بحسب المناسبة وقدر القرب خواص الأمة فلهم نصيب من هذه الكرامة ، والفرق بين هذا المتخلق وسائر المتخلقين هو أن نصيبهم من حقائق الأخلاق لا يعدو الآثار والرسوم ولا يتخلقون إلا ببعضٍ ، أما المتخلق الموحد فبجميع حقائق الأخلاق متخلق ومتصف ٠

(رباعية)

عشقك صهرني بحرارة الشوق

وأخلاني من جملة صفاتي

ثم صنع لي خلعة من صفاته

وأكرمني بهذه الخلعة الكريمة

وهذا ما فعل الشيخ الناظم - قدس سره - بإشارته في هذه الأبيات إلى هذه المرتبة الأخيرة في قوله :

(وقال قدس سره)

ولو نـال قـــدم القـــوام لثم فـــدامـــهــــا

لأكـــســـبـــه مـــعنى شـــمـــائلهـــا الـلثم

نال خيراً ينال نيلاً أى أصحاب وأصله نيل ينيل مثل تعب يتعب ، ورجل قدم أى غبي ثقيل ، والفدام ما يوضع فى فم الإبريق ليصفي به ما فيه ، والفدام بالفتح والتشديد مثله ، واللثم القبلة وقد لثمت فاها بالكسر إذا قبلتها وربما جاء بالفتح ، والشمال الخلق والجمع الشمائل كذا فى الصحاح ، القدم فاعل نال واللثم مفعوله ويجوز العكس أيضًا ، وأكسب يقتضى مفعولين فأولهما ضمير القدم وثانيهما معنى شمائلها ، يقول : لو وصل من اشتهر بين قومه بالبلادة والجهل والغباء وثقل الروح إلى تقبيل ما يوضع فى فم إبريق الخمر وحلقها ليمر من خلاله الخمر فيفصل صافيها من ثمالها فإن تقبيل هذا الرجل يصل به إلى الأخلاق الحميدة والأوصاف المرضية التى يقتضيها شربها ، وهى ثمرة المداومة عليها كالجود والسخاء والحلم والحياء وغيرها .

(رباعية)

ذاك الســـاذج الذى يسلك طريق الأذكـيـاء

ويمضى جـــهــــلاً فى سلوك التـــائبين

إذا لثم فم إبريق الخمر المغطى

اكتسب خاصية شاربى الخمر وطبعهم

(رباعية)

ذاك الساذج الذى جعل طالعه المقبل

منزله تراب باب حانتنا

حين لثم بشفته شفة الإبريق الطينية

سال من قلب الإبريق على قلبه خمر

ويمكن أن يكون المراد بقدم القوم المريد الذى كان بفطرته استعداد المعرفة وقابلية المحبة ، وبناءً على هذا الاستعداد والقابلية ينتسب إلى القوم لكن تلك المحبة والمعرفة لم تبلغ بعد الفعل من القوة ولم تنته من البطون إلى الظهور ؛ ولهذا السبب يتسم بالجهل والبلادة ، والمراد بالفدام هو الضعف وهو كمامة إبريق المحبة وغطاء سر المعرفة وما لا يليق باستعداده فيبلغه إلى ما يليق به ويحفظه عما لا يليق ، إذن فحاصل المعنى أنه إذا وصل مستعد لم تظهر به إذ ذاك أسرار المحبة وأنوار المعرفة فيه إلى تقبيل قدم العارف الكامل والمحب الواصل فلابد أن يحدث له بيمن خدمة ذاك الكامل وبركة صحبته كل ما كان فى استعداده من أسرار المحبة وأنوار المعرفة.

(رباعية)

أيها القلب قلل من حديثك مع الغافلين والأنجاس

وخلص يديك من رسم ذوى الأهواء الجامحة

إن أردت الخلاص من لوثك

فحذار أن تعرض عن متابعة الأطهار

(وقال قدس سره)

يقولون لي صفها فأنت بوصفها

خبير ، أجل عندي بأوصافها علم

صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى

ونور ولا نار وروح ولا جسم

أجل بمعنى نعم ، و(لا) في قوله (ولا ماء) وأخواته هي المشابهة لليس وخبرها محذوف أي المدامة صفاء وليس هناك ماء فلا يكون ذلك الصفاء صفاء الماء وهي لطف وليس هناك هواء فلا يكون ذلك اللطف لطف الهواء ، وكذلك هي نور وليس هناك نار فلا يكون ذلك النور نور النار وهي روح وليس هناك جسم فلا يكون روحًا متعلقًا بالجسم ، والهواء بالمد قصر لضرورة الشعر . يقول :

يقول لي الطلاب المستعدون والمريدون المسترشدون أذكر لنا وصفًا عديداً خاصاً لهذه المدامة ، التي شرحت في الأبيات السابقة خواصها ونظمت بالماس الفصاحة جوهراً أوصافها حتى تسكن نار عطشنا وتصل بفهمنا إلى حد إدراكها وأنت العليم بحقيقة أوصافها والقدير على بيانها كما ينبغي؛ فقلت أجل فأنا شيخ حانة العشق والولاء وأمير خمار

الفقر والفناء عليم بخواص تلك المدامة وخبير بأوصافها وليس لي شغل شاغل إلا وصفها ولا فكر مستديم إلا شرح أوصافها .

(رباعية)

يصير كل بدني أذنين حين أسمع الكلام في الخمر

ولا أنصت إلى حديث لا يكون في وصفها

أعرف جيداً أوصاف الخمر الصافية

وأديم القول فيها والسماع عنها

وصفة هذه الخمر أنها كلها صفاء وليس كصفاء الماء الذي يتكدر بالغبار ، وكلها لطافة ولكن ليست كلطافة الهواء الذي يتكثف بالبخار ، وكلها أيضاً نور ولكن ليس كنور النار التي تمتزج بظلمة دخانها ، وكلها روح ولكن ليست كالروح المتعلقة بالبدن التي تتشبث ببدنها .

(رباعية)

بلطف الهواء الخمر لكنها ليست هواء

ولا يمكن تسميتها بالماء لكنها جميعًا صفاء

كلها نور لكن ليست ناراً

وهي روح لكن مستقلة عن ظلمة الجسم

(لامعة): معرفة الحقائق المجردة البسيطة باعتبار التجرد والبساطة متعذرة ؛ لأن إدراكنا لحقائق الأشياء لا يكون باعتبار الحقائق المجردة البسيطة فقط ولا باعتبار وجودنا فحسب، بل باعتبار اتصاف حقائقنا بالوجود وبتوابع الوجود كالحياة والعلم، وباعتبار ارتفاع الموانع الحائلة بين المدرك ومدركاته ؛ إذن فهذه المعرفة لا يمكن أن تتحقق من جانب المدرك بدون كثرة ، ومن القواعد المقررة عندهم أن الواحد والبسيط لا يدركه إلا الواحد والبسيط ، إذن فلا يعلم من أى شيء غير صفاتها وعوارضها لكن لا من حيث حقائقها المجردة بل من حيث أنها صفات وعوارض لذلك الشيء ؛ ولهذا يقول الشيخ الناظم – قدس سره – في حكاية سؤال المريدين والمستفيدين (وأنت بوصفها خبير) ولا يقول (وأنت بها خبير) ، وبما أن تعذر هذه المعرفة وإدراكها بالنسبة للمريد المستفيد الذى ارتفع عنه هذا الحكم والذى يحقق له مقام (كنت سمعه وبصره) في قرب النوافل أو مقام (إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده) في قرب الفرائض ليست متعذرة ، فما سبق في حكاية جواب المرشد الواصل والمحقق الكامل على لسان الشيخ الناظم – قدس سره – وهو (أجل عندي بأوصافها علم) كان بناء على ملاحظة مطابقة الجواب للسؤال وإلا فبسبب أن الحق سبحانه هو آله أدراك العبد في قرب النوافل أو بالعكس في قرب الفرائض فلا يمتنع إدراك الحقائق المجردة البسيطة مطلقًا بل يتعلق بمشيئته.

(رباعية)

يا من أضفت إلى نفسك العلم والعمل

كان علملك وعملك كله نقصًا وخللاً

بما أن الحق بك وأنت به عالم

فكل نكتة مشكلة تصبح محلولة

وفي قول الشيخ الناظم - قدس سره - (وهو أجل عندي بأوصافها علم) إشارة إلى أنه يجوز للمرشد الكامل الذي تخلص من قيد النفس والهوى وتحرر من حبالة العجب والرياء ، بل يجب عليه بحكم (وأما بنعمة ربك فحدث) أن يعرض فضله وكماله ويجلي حسنه وجماله للطلاب المستعدين والمريدين المسترشدين من أجل تأكيد علامة الإرادة التي هي واسطة كل سؤدد وسعادة ، بل إنه يعلم بنفسه أن ذلك في الحقيقة هما كمال حضرة ذي الجلال والافضال وكماله اللذان انعكاسه على مرآة وجوده ووجد حقيقته متصفة بهما ؛ إذن فعدُّ ذاك الكمال وعرض ذاك الجمال في الحقيقة عد كمال حضرة الحق وعرض جماله سبحانه ما أعلي شأنه وما أجلى برهانه.

(رباعية)

يحدث حينًا أن يقع نظرى على جانبى

وحتى لا تظن أننى مستفيد من ذاتى

فــإننى لأنظر فى طـلعــتى جــمــال الحق

وأحــــصى من نســـخــتى كــمـــال الحق

(وقال قدس سره)

مــحــاسن تــهـدى الواصــفين لوصـــفـهـــا

فــيــحـــسن فـــيـهـــا منهم النثــر والـنظم

هداة الطريق وهداه له وهداة إليه كلها بمعنى واحد يعني أرشده إلى الطريق والضمير فى (لوصفها) ، و(فيها) للمدامة وجعله بعض الشارحين لمحاسن والأول أحسن ، ومحاسن مبتدأ خبره محذوف أى لها محاسن ، يقول : لهذه المدامة صفات جديرة وخواص جميلة ، تبعث الواصفين العارفين والمادحين الواقفين على وصف كمالها ونظم جوهر مدحها ونرشدهم إلى ذلك ، فيحسن فى شأن تلك المدامة من أولئك الوصّاف بسبب تلك الأوصاف اللطيفة والمعانى الشريفة أن ترتسم الكلمات المنثورة بسمة (إن من البيان لسحر) ، ويستحسن منهم لها الكلام المنظوم ينتظم فى سلك (إن من الشعر لحكمه).

(رباعية)

لما فتحت الخمر ستراً عن صفات حسنها

دلّتْ الـوصـــافين إلى وصـــــفـــــهـــــا

ومع أن بـهـــا بمثل كــــلامـــهـم لطفًـــا

إلا كثيراً آخر من اللطف زاد فوق ذلك اللطف

(رباعية)

كل من يفتح فمه بوصف الخمر

يزيد به حسن وصفه

إن وصف كل شيء يجمل بالكلام

إلا وصف الخمر من عجب فهو الذي يزيد الكلام جمالا

(وقال قدس سره)

ويطرب من لم يدرها عند ذكرها

كمشتاق نعم كلما ذكرت نَعَم

طرب من الفرح ومن الحزن طربًا وهو طرب وطروب استخفه الجزل من الفرح والحزن من الباب الثالث ، وفي الصحاح الطرب خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور ، وأيضًا في الصحاح نعم بضم النون اسم امرأة ، وقوله (ويطرب) الواو إما لعطف على البيت السابق أو عطف قصة على قصة كالبيت الآتي أعني قوله (وقالوا شربت الإثم) البيت ، والضميران للمدامة أو على جملة (يحسن فيها) أو على جملة (تهدى الواصفين) وعلى التقديرين فالضميران : إما للمدامة وحينئذ لابد من تقدير ضمير عائد إلى المحاسن للربط أي عند ذكرها بها أي بتلك المحاسن ، وإما للمحاسن ولا حاجة إلى تقدير الضمير ، يقول يخف ولا يستقر من لم ير هذه المدامة ولم يذق مذاقة إدراك حقيقتها عند جرى

ذكرها على اللسان أو سماعه على لسان الآخرين كما يهتز العاشق المشتاق في زاوية البعد والفراق بذكر معشوقه ويزيد به وجده وطربه.

(رباعية)

ألذى خر به الهم يعمر بذكر الخمر

ويتحرر من قيد البلاء والمحنة

ومع أن أحدهم لا يعلم عنها شيئًا لكن إذا

سمع اسمها سعد لسماع اسمها

ويمكن أن يكون مراد الشيخ الناظم - قدس سره - أنه لما بللت طينة الآدمي في بداية الفطرة بماء المحبة وبذر في تربة استعداده وقابليته بذر العشق والمحبة ، فكلما سمع بلسان العبارة أو لغة الإشارة سراً من أسرار المحبة أو رمزاً من رموز العشق والمودة فإنه يتذكر ذاك السر الأصلي والمعنى الجبلي مع أنه كان لفترات طويلة غافلاً بسبب التعشقات الصورية والمعنوية عن ذاك السر وذاهلاً عن ذاك المعنى بواسطة التعلقات الدينية والدنيوية.

(رباعية)

كلما ذاع صيت من ذاك الحسن

الزائد عن الحد في مدينة وجودي

تجدد مائة ألم قديم في قلبي

واستجد مائة كي عتيق على كبدي

(وقال قدس سره)

وقالوا شربت الإثم كلا وإنما

شربت التي في تركها عندي الإثم

الإثم الذنب وقد تسمى الخمر إنما قال (شربت الإثم حتى ضل عقلي) كذلك الإثم يذهب بالعقول

يقول : قال القاصرون عن فهم المعاني في ضمن الصورة والعاجزون عن إدراك الحقائق في لباس المجاز : إن المراد بتلك المدامة التي اعترفت في صدر القصيدة بشربها وسقت الأخبار في سائر أبياتها عن خواصها وآثارها هي الخمر ، التي يعبر عنها في اللغة بالإثم ، يسمي في الشريعة شاربها آثماً أي المُدَام الصوري والخمر العنبي الذي شربه نتيجة الضلال ويستحق شاربها العذاب والنكال فينادي هؤلاء بالردع عنها ومنعها كلا وحاشا أن أشرب قط من تلك الخمر أو استريح لشربها ؛ بل إني شربت الخمر من كاس المحبة وجهدت في المداومة على شربها وترك هذا الشراب عندي ذنب وتارك شربه بعيد عن مشرب العقلاء الأذكياء .

(رباعية)

مقاساة التعب في غير طريق العشق إثم

والسير في غير شارع الحانة إثم

قلت إن شرب الخمر حرام وحاشا

إن عدم شرب الخمر في مذهبنا إثم

(وقال قدس سره)

هنيئًا لأهل الدير كم سكروا بها

وما شربوا منها ولكنهم همّوا

هنؤ الطعام يهنؤ هناءً وهناءة وهو هنيء أي طاب ومرأ الطعام من الباب السادس، والدير معبد النصارى واصطلحوا به في مصطلحات الصوفية على العالم الإنساني ، هممت بالشيء أهم همًا إذا أردته قوله هنيئًا صفة مصدر محذوف أي ليشرب أهل الدير شربًا هنيئًا لهم ، يقول : هنيئًا خمر المحبة الذاتية للمتوطنين المتوسطي الحال في دير العالم الإنساني الذين سكروا كثيرا بشرب هذه الخمر خلف الحجب الأفعالية والصفاتية واستراحوا قليلاً من ثقل عبء الوجود والحياة بينما لم يشربوا من تلك الخمر شربة كالذين انتهوا من شربها بل قصدوا وهموا على شربها.

(رباعية)

أولئك الذين اخضعوا أعناقهم إلى إبريق الخمر

فنوا عن أنفسهم ولم يتناولوا منها كأسًا

لم يتجرعوا منها جرعة لكن لما خطرت

فكرة الخمر على قلوبهم صاروا سكارى

(وقال قدس سره)

وعندي منهــــا نشــــوة قـــبل نشــأتي

مـــــعي أبداً تبـــــقى وإن بـلى الـعظـم

النشوة بالفتح السكر وزعم بعضهم أنه سمع فيه نشوة بالكسر ، نشأ الغلام نشأة ونشاءةً رباه من الباب الرابع ، بلى بليًا وبلاءً قدم من الباب الثالث ، ويقول عندى من تلك المدامة سكر مقدم على وجودى ونشوة قبل نشوئى فى هذا العالم ويبقى هذا السكر معى ولو بليت عظامى التى يقوم بها جسدى ويستحكم بها بدنى .

(رباعية)

عَلَىَّ من وجـــــودى عـــلامــــة الفـنـاء

وإنما عـــشــــقك أذاقنى خـــمــــر الفـناء

اســترحت مـن هذه الخمــر من وجــودى

ولــو بـلــيــت فــىّ عــظــامــى

(وقال قدس سره)

عليك بـهـا صـرفًا وإن شـئت مـزجـهـا

فــعــــدلك عن ظَلْم الحـــبـيب هو الـظُّلْمُ

شراب صرف بحت غير ممزوج ، مزج الشراب مزجًا خلط الشراب من الباب الأول ، العدل ههنا بمعنى العدول عدل عن الطريق عدولاً عاد عنه من الباب الثاني ، الظلم بالفتح ماء الأسنان وبريقها ، ظلمه وظلْمًا جار عليه من الباب الثاني .

يقول عليك أن تسعى إلى أن تشرب تلك المدامة صرفًا ، وإذا لم تستطع شربها خالصةً صرفًا وأردت مزجها برشحة الزلال التى ترتضعها من شفتي معشوقك وأسنانه فافعل ولا تلق بالعدول عن ذلك بنفسك فى ظلمات الظلم والجور .

(رباعية)

كأس الخمر الصافية ولو كانت يا شارب الخمر

مُرةً فلا تدع الخمر لمرارتها

وإذا لم تقو على مرارتها فالأجدر بك

أن تحلي مذاقها بحلاوة شفتي حبيبك

ويمكن أن يكون مراد الشيخ الناظم - قدس سره - هو : عليك أيها المحب العاشق والمريد الصادق أن تحب وتعشق حضرة الذات الرفيعة الدرجات بلا نظر إلى صفات جمالها أو جلالها ومطالعة صدور آثارها وأفعالها لأن المحبة التي لا تتحرك من محض الذات ، وتمتزج بشوائب الأعراض والأعواض إنما تتعلق بهذه الأعراض في الحقيقة لا بالذات بل بأمر من متعلقات الذات ، وأى غبن أفحش وخسارة أوحش

من أن تترك محبوبك الأصلى ومطلوبك الحقيقى وتتجه إلى المحبوبين الطفيليين والمطالب المجازية ؟

(رباعية)

إلى متى أيها القلب ترضى بحرق الحرمان

وتنأى بنفسك عن حريم الوصل

إن ستر المعشوق وجهه بنقابه

فتعالَ وتَعشَّقْ نقابه

وإذا لم يكن استعدادك بظهور المحبة الذاتية وافيًا وشربك العذب من كدر التعلق بما وراء الذات صافيًا ، فلا تعدل عن محبة الأسماء والصفات فهى من وجه عين الذات ولا تعلقْ باطنك بشائبة التعلق بأفعالها وآثارها .

(رباعية)

ذاك القمر الذى رأس ماله الوفاء والحب

وأوج فلك الحسن أدنى درجاته

انظر إلى شمس وجهه وإذا لم تستطع ذاك

فانظر إلى ضفيرته السوداء التى هى جارته

(وقال قدس سره)

ودونكها في الحان واستجلها به

على نغم الألحان فهي بها غنم

دونكها بمعنى خذها والاستجلاء طلب الظهور والجلاء والنغم جمع نغمة وهي صوت لابث زمانًا واللحن ما يتركب من النغم ، فمعنى قوله على نغم الألحان على نغم يتركب منها الألحان ، غنم المال غنمًا اغتنمه من الباب الثالث والغنم ههنا بمعني الغنيمة ، وأول الضميرين المجرورين للحان والثاني للألحان ، وما عداهما للمدامة. يقول : خذ تلك المدامة في حانة السكارى والثمالى واطلب اجتلاءها في تلك الحانة في مجتلى الكأس والزجاجة على النغمات العذبة والأحان الخالبة لأن شربها مع طيب الألحان وحسن النغم مرغوب ومغتنم .

(رباعية)

اجلس برجولة في ركن الحانة

وانظر جلوة الخمر من الكأس والزجاجة

واشرب الخمر فهي غنيمة أيها العاقل

على نغمات الناي والألحان السكرى

ويمكن أن يكون مراد الشيخ الناظم - قدس سره - بالحانة مجلس الكاملين المكملين وصحبة العرفاء العارفين الذى يشرب به شراب العشق

ويباع به خمر المحبة على النغم والألحان لـكل ما ينتـج سمـاعه ذوقًا أو يبيح شوقًا من الأنفاس الشريفة لأرباب الكمال ، والإشارات اللطيفة لأصحاب المواجيد ، والأحوال ، والآيات ، والبينات القرآنية ، والكلمات المباركات للتنزلات السماوية ، والأذكار المزيلة للغفلة ، والأشعار المزيدة للحرقة ، والنغمات بالأمل ممتزجة والألحان للشوق مهيجة ، وحينئذ يكون المقصود من البيت التنبيه على أن تربية صفة المحبة وإنماء معنى الإرادة لا يُتصوران إلا في صحبة هذه الطائفة ودولة حصولها وسعادة وصولها ليس لهما طريق آخر غير مشاهدة الحال واستماع المقال لهذه الجماعة ، إذن فيجب على الطالب الصادق ألا يخلي ذيل صحبة هذه الجماعة ما ترددت فيه الروح ، وأن يغتنم خدمة هذه الفرقة وملازمتها مادام النفس منه يغدو وإليه يروح .

(رباعية)

يا من أنت بالظن والوهم مرتهن

أحق بك لو بمشرب العشاق تُفْتَتَنُ

تغدو عاشقًا إن سمعت حديثهمو

لا بل تصير العشق كله بهمو

(وقال قدس ذكره)

فما سكنت والهم يومًا بموضع

كذلك لم يسكن مع النغم الغم

سكن سكونًا استـراح وسكن الدار سكونًا وسكنى وسكنًا أقـام بالدار وكلاهما من الباب الأول ، الهم الحزن والهموم الجمع ، وقوله (ولاهم) مرفوع عطفًا على الضمير المستكن في (سكنت) أو منصوب على أنه مفعول معه ، يقول : الخمر الصافية اجرعها والنغمة الشافية اسمعها لأن الخمر ما استراحت زمنًا في مكان واحد مع الهموم والأحزان ، والهم ما أقام لحظة في موضع واحد مع طيب الأنغام والألحان.

(رباعية)

أتود ألا ترى من الفلك غـصـة وهمًـا

اسمع في الحانة ألحانًا ونغمًـا

لايجتمع معًـا دور القدح ودور الزمان

كالنغم والغم لا يجتمعان في مكان

(لامعة): كل من أصابه غم فإما لحزن من فوات مطلوب أو أصابه مكروه فـو محب الذات ولا ريب يطلب ويرغب كل الصفات المتقابلة للمحبوب والأفعال والآثار المتخالفة المترتبة عليها ، إساءته هي عين الإحسان وإذلاله هو نفس إعزازه سيان لأن ليس له مراد غير مراد المحبوب ولا يتصور أمرًا يخالف مطلوب المطلوب، وكل ما يأتي في حيز الوجود يكون لمراده موافقًا وكل ما يروح إلى كتم العدم يكون لمقصوده مطابقًا ، ومن هنا فلا يقع له فوات مطلوب أو إصابه بمكروه إذن فلا يحيق غم بمخاطره ولا يفوق هم على هاجسه .

(رباعية)

لى زاد عــــدم الزاد فـى طريـق العـــشق

ولى عـدل عـدم العـدل من سيف الـهجـر

ومـــادام قـلبى ســـعـــيـــدًا بإرادتك

فكـل الأشـــيـــاء هى طبق مـــرادى

(رباعية)

لست أنا الـذى أود ســـرور الحـــيـــاة

أو أروم ســـعـــادة الـعـــمـــر الخـــالد

قـــد أزحـت فكر الـرغـــائب عن قـلبى

ولا أبغى غـــيـــر مـــا يبـتـــغـيـــه قـلبك

(رباعية)

لا الوهم والخـــيـــال حـــيـــثـمـــا أكـون

لا الألم والملال حـــيـــثـــمـــا أكـــون

أمـــور الـداريـن بوفـق مـــراد قـلبى

أى مـجـال للهم والغم حـيـثـمـا أكـون ؟

(رباعية)

وفي سكرة منها ولو عمر ساعة

ترى الدهر عبداً طائعًا ولك الحكم

السكرة اسم مرة من السكر وعمر الرجل بالكسر يعمر عُمْرًا وعُمُرًا أي عاش زمانًا طويلاً من الباب الثالث، والمراد ههنا بعمر ساعة مدتها ، طاعه وطاع له يطوع ويطاع طوعًا وطواعية الانقياد له من الباب الأول والرابع ، حكم بين القوم حكمًا وحَكَمًا وحكومة وهو حاكم وحكم أي قضى بين الناس من الباب الأول يقول : ولو ترى في سكرة واحدة من هذه المدامة الهنيئة ولو بمقدار ساعة من الزمان لرأيت الزمان عبداً منقاداً لك ووجدت نفسك سيده الآمر الناهي.

(رباعية)

الأطيب لك أن ترهن حسناتك للخمر

حتى تجمع وقتك المتفرق

إذا سكرت نجوت من قيد الوجود

ووجدت كل الزمان عبداً لك

(لامعة): إذا تخلص السالك في مقام الفناء في الله والبقاء به بواسطة استيلاء السكر بشراب المحبة من عبء الوجود وحمل عبادة الذات واختص بشرف خلعة البقاء الحقيقي وهو (من قتله محبتي فأنا ديته) رأى تصرفات حضرة الحق سبحانه كلها مضافة إليه هو ، ووجد

كافة الموجودات مطيعة لتصرفاته هو ؛ لأن تصرفات الفاني غير مستغرقة إلا عين تصرف حضرة الحق سبحانه وتصرف الحق تصرف كامل ولكافة الموجودات شامل ٠

(رباعية)

أسفر المعشوق عن وجهه

فنفني وجودي في وجوده

ولما صرته أنا كلي رأى قلبي مني

كل فعل وتصرف قد ظهر منه

(وقال قدس سره)

فلا عيش في الدنيا لمن عاش صاحيًا

ومن لم يمت سكرًا بها فاته الحزم

عاش عيشًا وعيشة ومعاشًا ومعيشة حيا من الباب الثاني، صحا من السكر ومن العشق صحوًا أفاق من السكر ومن العشق من الباب الأول ، مات يموت ويمات موتًا ومماتًا وميتة لحقته المنية من الباب الأول والثالث ، فاتني الشيء خرج من يدي وفات الوقت مضى من الباب الأول، حزم حزمًا أحكم الأمر من الباب الثاني ، قوله (صاحيًا) نصب على الحال من فاعل عاش ، وقوله (سكرًا بها) نصب على أنه مفعول له لقوله لم يمت ٠ يقول بما أن رأس مال كل سعادة هو التصرف في الموجودات والتسلط على الكائنات، وهذا المعنى كما علمت منحصر في

السكر ومقتصر على شرب الخمر؛ إذن فكل من أثر الإفاقة ولم يذق من تلك الخمر مذاقةً ما رأى من سعادة الدنيا حظًا ، وكل من لم يتشبث بتلك المدامة ، ولم يمت سكرانًا بها نشوانًا ما سلك طريق العقل والفراسة وما سار سبيل الحزم والكياسة.

(رباعية)

من عاش مفيقًا من شراب العشق

انكسر كأس طربه من حجر الإدبار

ومن لم يمت سكرانًا من هذا الشراب

ما سلك طريق الحزم في العشق

(لامعة): كل سعادة وحضور وابتهاج وسرور ينتج من حصول المرادات الدنيوية، والوصول إلى السعادات الأخروية أو يكون ثمرة التحقق بالمعارف الروحانية والكمالات الإنسانية هو بالقياس إلى الاستهلاك فى عين الجمع والاستغراق في لجة الفناء ، الذى يترتب على المحبة الذاتية والمناسبة الأصلية سوف يكون مستحقرًا ، وسوف يكون مستنكرًا ؛ إذن فالمحروم الذى لم تصبه هذه السعادة ولم يبلغه ذاك الابتهاج أى حظ احتظى به من حقيقة الحياة ، وأى تمتع تمتع به من كمال البهجة والحبور ؟

(رباعية)

كـــل فـــــرح يفرحه المرء بعيـدًا عن بابك ولو كان بمثل السلطان هو عليه خسران

وبقــــدر مــــا يـــربحــــه شـــحــــاذو بابك

فـــــرأس مــــال الملوك كله نقـــصــــــان

(وقال قدس سره)

على نـفــســـه فليــبـك من ضـــاع عـمـــره

وليس له فـــيـــهـــا نـصـــيب ولا ســــهم

بكى بكاء ويكى بالمد والقصر مضاد الضحك وضاع الشيء ضيعة وضياعًا لم يحصل له وكلاهما من الباب الثانى ، السهم النصيب والنصيب الحظ من الشيء ، يقول يجب أن يبكى على نفسه ويقيم مأتمًا له من أضاع نقد حياته ورأس مال أوقاته ولم يجعلهما وسيلة لعشق الخمر وواسطة للفناء والسكر ، ولم يقم بتحصيل جرعة منها وتكميل حظ بها .

(رباعية)

إنما الرجل الذى ينفق رأس مال عمره على خمره

لأن العمر بلا شرب الخمر أساس الألم والهم

وكل من لم يحتظ من الخمر في عمره

قل له ابك دمًا فقد أضعت عمرك

(لامعة): المقصود من خلق العالم هو وجود بني آدم، والمطلوب من وجود بني آدم هو المعرفة والمحبة للحق تقدس وتعظم لأن السعادة الأبدية بهما منوطة واللذاذة السرمدية بهما مربوطة ، وأعظم أسباب اكتساب المعرفة والمحبة هو نقد الحياة ورأس مال الأوقات والساعات فإذا صرفها الطالب اللبيب بالمواظبة علي وظائف الطاعات والمداومة على مراسم العبادات مع التوجه التام وإخلاص النية على الدوام وتفريغ القلب بالكلية عن الأغراض الدنية الدنيوية ، بل عن جميع التعلقات الكونية تستقبله سابقة العناية وتنفتح عليه سبل الهداية فيغدو قلبه مهبط أنوار المعرفة وتصبح روحه مخزن أسرار المحبة ، ويكسى خلعات السعادة الأبدية ، وينثر عليه نثارات البهجة السرمدية، وتبقى خاتمة أحوال عن الغرامة مصونة وتصير عاقبة أفعاله وأعماله من الحسرة والندامة مأمونة ، وإذا فعل والعياذ بالله خلاف ذاك أبله أو أكمه لم تكتمل بصيرته بكمال الهداية، ولم تتبدل ظلمة جهالته إلى نور الدراية وحصر كافة اللذات في التمتعات الحسية وقصر سائر الراحات على الشهوات البهيمية ، وعد أيام حياته أساسًا لاستيفاء المناهي وحوّل حاصل أوقاته حليًا لاستقصاء الملاعب والملاهي ، وآخر الأمر لم يلق من نفحات رياض اللطف والجمال حظًا ، ولم يذق من رشحات أقداح القرب والوصال جرعة فإن على شفتيه نفير الحسرة ، وفي قلبه زفير المحنة،

وعلى صدره كى الخسران وفى عينيه دمع الحرمان ، سلك طريق العدم وخطا في مسار الخسار وبدأ لسان حاله هذا الترنم وناح بهذا التنغم :

(رباعية)

وا أسفـــاه فـقـــد ضاع وقت العـــمل

وراحت أســبـــاب وصـــال الحـــبيب

وفـى مـــعـــــرض لـذة فـــانيـــة

ضــــاعت مــــائة لـذة بـاقـــيــــة

(رباعية)

تجـرعـنا من كـــأس الأجل السـم من أسف

ورحلنا عن قــــصـــــر الأمل مـن أسف

وقطـعنا من الراحـــة الـفــانيـــة الأمل

ولم نبلغ السـعـــادة البـاقـــيـة من أسف

ويحـــق لأهـــل الأرض أن يبلغـــوا من جـرمـــان ذلك التعيس نواح الحسرة إلى السماء ويجـــدر بأهل السماء أن يهرقوا من خذلان ذاك الحزين دموع الأمل والمحنة إلى الأرض

(رباعية)

من يبلى روحه بعيداً عن فرقتك

ويطهر دم قلبه من سنان رمشك

يحق للجبل أن ينوح تألما عليه

ويجدر بالحجر أن يبكى على حاله

(رباعية)

كل مُغْتَمٍّ يبكى من الطالع المنكوس

ويتوجع من فرقة هذا الحبيب الصبوح

إن حكى عن آلام قلبه مع الجبال

صارت كل عين فيها عينًا تبكى عليه الدم المسفوح

(خاتمة فى المناجاة)

إلهى كل ما خطر فى قلبنا أو مر على لساننا إن كان فى حساب الصدق والصواب فهو نتيجة إنعامك وثمرة كشفك وإلهامك فامنحنا الأجل لأداء شكرك عليه ، وإن كان فى عداد الكذب والفساد فهو من قصور أهليتنا ونقصان قابليتنا فامتن علينا بحسن تجاوزك وغفرانك.

(رباعية)

الفعل منك يوجب الشكر والثناء

والصنع منا يسبب الجرم والخطاء

ليس إلا خيراً وكمالاً حيثما تكون

وإن كان شر فهو من جانبنا

أطلق خاطرنا من التقييد بما سواك وأغرق أوقاتنا في الاستغراق في شهود كبرياك، ولأن كل إنسان يتعقب مقصوداً ويسلك طريقًا يريد حسنًا منشوداً فكن أنت قبله مقصودنا ، وصر أنت غاية حسن منشودنا .

(رباعية)

عبوديتك جنوني من حياتي

ويحرم على الأحياء القلوب الأنفاس بدونك

كل امرىء يطلب منك مقصود قلبه

لكن (الجامى) لا يريد منك إلا أنت وكفى

واحفظ عاقبة أمرنا من غائلة الغرامة وحصّن خاتمة عمرنا من شائبة الحسرة والندامة وكن شريك أنفاسنا بفضلك وكرمك ما بقى نفس فإذا انقطع فأغثنا بلطف عنايتك

(رباعية)

يا من صنعك لحظة بعد لحظة من قلم (كن)

ومائة نقش لك ثار مستجداً على لوحك القديم

أروم أن تختتم صحيفة عمرى

بذكرك وانتهى كلامى بذكرك أيضًا

وصل الغاية ، وانتهى إلى النهاية سير القلم الحثيث الخطا، وحركة اليراع الذي ما قر وهدا في قطع مراحل ترتيب هذه اللوامع وطى منازل تأليف هذه البدائع فى تاريخ يفهم من هذه الرباعية على سبيل الإيماء والتعمية :

(رباعية)

بلا دعوى فضل ولا زعم فن

سلك الجامى هذا العقد من الجوهر فى سلك البيان

ولحظة أن تم استخرج تاريخ

شهور إقامه وسنواته من (شهر صفر)(١)

(١) حساب الجمل لكلمتي (شهر صفر) يساوى (٨٧٥) هى نفس سنة إتمام هذه اللوامع .

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .